الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط موسومة بـــ :

المغرب الأوسط من خلال رحلة عبد الباسط بن خليل (844-920هـ/1440-1515م)

إعداد الطالبة:

فاطيمة الزهرة جباري

إشراف الأستاذ:

أ. عبيد بوداود

لجنة المنـــاقشة:

د. محمد عليلي	**رئيسا**
أ. عبيد بوداود	**مشرفا ومقررا**
د. فتيحة تريكي	**عضوا مناقشا**

الموسم الجامعي: (1441-1442هـ/2020- 2021م)

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــداء

الحمد لله الذي بعونه بلغت أملي، بقدرته حققت حلمي أشكره على نعمة العلم بعد ضوء الإيمان، وعلى نعمة الوالدين بعد نعمة الإسلام.

إلى الوالدين الكريمين إلى أبي الغالي عبد السلام الذي كان عونا لي وسندا ولم يبخل علي بالدعم المعنوي والمادي...

إلى أحق الناس بصحبتي أمي الغالية فتيحة من تكبدت عناء تنشئتي وحملت هم نجاحي...

إلى كل من ساندني في عائلتي وشجعني على تحقيق أحلامي إخوتي وأخواتي مخطارية، نرجس، فدوى الحبيبة، محمد ،عبد السلام وجدي الغالي أحمد.

إلى صديقتي وأختي فاطيمة مشري التي شجعتني ودعمتني

إلى أستاذي بن مسلم الذي لقيت منه الدعم والتشجيع

إلى تلاميذي الأعزاء بولاية سيدي بلعباس .

إلى روح جدي عبد القادر والجدّتين سعدية وفاطمة وتلميذي زاهم وأستاذي درواش رحمهم الله .

شكر وعرفان

أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاح هذه المذكرة، سواء من أعطاني دفعا معنويا أو دعما علميا وأخص بالذكر الأستاذ المشرف الأستاذ عبيد بوداود الذي شجعني على التجديد والإبتعاد عن المواضيع المستهلكة ولم يبخل علي بتوجيهاته وإرشاداته.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى كل الأساتذة وعمال الإدارة والمكتبة بقسم العلوم الإنسانية بجامعة ابن خلدون تيارت خاصة الأستاذ راكة عمر، والأستاذ خينيوي، والأستاذ شعلال، والأستاذ كرطالي، والأستاذ بقة– رحمه الله–

وفي الأخير فإنني لا أود ذكر المجهودات التي بذلتها والصعاب التي اعترضت طريقي منذ بداية التفكير في إعداد هذه الدراسة إلى مرحلة تحريرها، وإنما فضلت أن أترك هذا البحث المتواضع كمساهمة في إحياء بعض من تراث المغرب الأوسط بوجه خاص، فإن قاربت فذلك من فضل الله وإلا فحسبي أن أفتحه بابا يلجه من وفقه الله إلى سبيل السداد والرشاد، والله المستعان، وعليه التكلان، ومنه التوفيق والتبيان.

قائـــــمة المختصـرات

المختصرات	وما يوافقه
تــح	تحقيق
تـــع	تعليق
تــق	تقديم
تـــر	ترجمة
ج	جزء
ص.p	صفحة . page
ص ص	صفحتين متتابعتينpp
ص- ص	ما بين الصفحتينp-p
مج	مجلد
ط	طبعة
د. ط	دون طبعة
د. ت	دون تاريخ
د. ب	دون بلد نشر
ع	عدد
م	ميلادي
هـ	هجري
تـــ	توفي
ق	قرن

مقـــــدمة

مقـــدمة:

يعد المغرب الأوسط محور اهتمام الكثير من الباحثين، فقد حظي بدراسات مست جميع الجوانب والميادين في المجتمع، والسياسة، والإقتصاد، والتعليم ... وذلك لما لها من دور في إبراز المعالم الحضارية ومختلف الأوضاع للسكان ببلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة.

فمن الناحية الاجتماعية نجد معظم كتب الرحالة والجغرافيين تركز على توزيع القبائل وتحديد أسمائها وأدوارها ومجالها الجغرافي، والعادات والتقاليد الممارسة وحياتهم اليومية، في حين كانت الناحية الإقتصادية تبرز وتكثر في المدن من خلال إيراد هذه الكتب لجوانب من الأنشطة الإقتصادية التي يمارسها السكان على غرار التجارة والزراعة وبعض الحرف والمعادن، رغم أن هذه الدراسات لتاريخ المغرب الأوسط ما تزال قليلة، وتعتمد في أغلب الأحيان على ما ورد في كتب الرحالة والجغرافيين ومدوناتهم إلا أنه أعطى نفسا جديدا ودفعة قوية لمختلف الباحثين في تاريخ هذه المنطقة ودراسة المجتمع وما يتعلق به.

ومن هنا فقد كان للرحلات– مهما اختلفت أسبابها لطلب العلم أو الإستطلاع أو الحج أوالسفارة– قيمة عظيمة لما تحتويه على كثير من المعارف الجغرافية والتاريخية والإقتصادية وغيرها مما يدونه الرحالة تدوين المعاين للأوضاع في أغلب المرات جراء

اتصاله المباشر بالطبيعة والناس والعلاقة التفاعلية بينهما. وتبرز أمام الرحالة ودارسي التاريخ والباحثين على أنها منارات لا يملك الباحث أو الدارس إلا أن يحط رحاله في ربوعها لوقت قد يقصر أو يطول حسب مهمته، وبذلك فقد تعدى محتوى الرحلة من مجرد ذكريات وتصوير وقائع عايشها شخص معين إلى اعتبارها مصدرا من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية.

ولا شك في أنه ما من عهد إلا وقيض الله له كاتبا يبحث عن ظواهره وخصوصياته، يقيدها لنا بالتفصيل ويخبرنا عنها. وقد قيل قديما: "ولد الإنسان راحلا "، وهو قول يصدق على المسلمين أيام عزهم أكثر مما يصدق على غيرهم، والسبب هو اتساع ملكهم وتطور أحوالهم الاجتماعية والإقتصادية خاصة بعد الفتوحات الإسلامية لشغفهم بالتنقل والترحال وحب المعرفة والإطلاع والتجارة والمغامرة والإغتراب.

واشتهر من بين هؤلاء الرحالة والجغرافيين مشارقة ومغاربة زاروا أو كتبوا عن المغرب على اختلاف أساليبهم فجابوا الأرض طولا وعرضا متحدين الأهوال والمخاطر وسجلوا ما وقع تحت أعينهم وما لفت أنظارهم وما أثار فضولهم وانطباعهم. وصفوا الأشياء والأمكنة والحوادث والمناظر الطبيعية وصوروا حياة الأشخاص وعملوا على جمع المعلومات الجغرافية والتاريخية والحضارية، وعكس لنا أغلبهم صورا هادفة لما رأوه ونزلوا به من مدن وقرى.

يتناول موضوع بحثنا: "**المغرب الأوسط من خلال رحلة عبد الباسط بن خليل (844-920هـ/1440-1515م)**" ، ويعد محاولة استقراء بعض مدونات عبد الباسط ابن خليل حول الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط خلال فترة تواجده بها. فقد صور الكثير من الوقائع التي صادفته في رحلته التي تعد من أهم الرحلات التي أثرت تاريخ هذه المنطقة وعكست جوانب الحياة فيها.

تكمن أهمية الموضوع في أنه يؤرخ لأحد العلماء الرحالة المشارقة **عبد الباسط بن خليل** الذي زار بلاد المغرب الأوسط، وشارك في إثراء الحركة العلمية به وذلك من خلال رحلته العلمية إلى حواضره، ورصد الأوضاع السائدة به في شتى الميادين.

ومن أهم الدوافع لاختيارنا هذا الموضوع هي:

- حب التطلع إلى تاريخ المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة.

- اهتمامنا بكتب الرحالة المشرقي" **عبد الباسط بن خليل**" ونظرته حول الأوضاع في المغرب الإسلامي.

- قلة الدراسات والأبحاث التاريخية حول المغرب الأوسط مقارنة بالمغربين الأقصى والأدنى.

- الإنتماء إلى منطقة المغرب الأوسط، والميل الشخصي لدراسة مواضيع تتعلق بتاريخها الإسلامي.

– الأهمية البالغة لدراسة التراجم التاريخية والتعريف بها في مختلف جوانبها.

وبناء على ذلك طرحنا الإشكالية التالية: **ما مدى مساهمة الرحالة عبد الباسط بن خليل في التعريف ببلاد المغرب الأوسط ؟** وبصيغة أخرى: **فيم تمثلت إسهامات مدونات الرحالة عبد الباسط بن خليل في إبراز الأوضاع الاجتماعية والإقتصادية والثقافية في بلاد المغرب الأوسط ؟**

ولمناقشة هذه الإشكالية وجب علينا الإجابة عن عدة تساؤلات فرعية أهمها:

– من هو عبد الباسط بن خليل ؟ ماهي جوانب نبوغه وأبرز مؤهلاته العلمية ؟

– ما هي دوافع رحلته إلى حواضر بلاد المغرب الأوسط ؟ ماهي أهم الطرق والمسالك التي سلكها عبد الباسط بن خليل في رحلاته؟ وإلى أي مدى ساهم في إثراء الحياة الفكرية ببلاد المغرب الأوسط والتواصل العلمي بين الحواضر المغربية والمشرقية ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبعت خطة مكونة من فصلين مسبوقين بمدخل.

ففي المدخل أشرت إلى ظاهرة العلماء والرحلة العلمية وإسهاماتها في إثراء الحركة الفكرية بحواضر المغرب الإسلامي وعلى وجه الخصوص المغرب الأوسط، حيث ألقيت نظرة عليه كإقليم جغرافي بالإعتماد خصوصا على المصادر الجغرافية والإشارات التي ورد فيها هذا المصطلح عند بقية المصادر على اختلاف أنواعها.

باعتبار الموضوع مخصص لأوضاعه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من خلال رحلة عبد الباسط بن خليل فقد ذكرت باختصار نماذج لرحالة مشارقة سبقوه قبل التطرق إلى ذلك في الفصلين.

بالنسبة للفصل الأول والمعنون بـ: "**حياة عبد الباسط بن خليل بن شاهين**"، فقد خصصته للتعريف بشخصيته وحياته، حيث تركز على جانبين أساسيين، الجانب الأول تضمن التعريف بالرحالة عبد الباسط بن خليل ذكرت فيه مولده ونسبه، أسرته ثم وفاته. أما الجانب الثاني تضمن سيرته العلمية أشرت فيها إلى صفاته وشيوخه ومؤلفاته العلمية وتلامذته.

بينما الفصل الثاني والمعنون بـ: "**واقع المغرب الأوسط من خلال رحلة عبد الباسط بن خليل**"، تركز هو الآخر على جانبين أساسيين تمحورت دراسة البحث حولهما. الجانب الأول: رحلة عبد الباسط العلمية إلى المغرب الأوسط، شمل أربع نقاط خصصت لأربع مناطق زارها في المغرب الأوسط : قسنطينة وبجاية وتلمسان ووهران. أما الجانب الثاني فقد تركز على الإشارة إلى الأوضاع السائدة في المغرب الأوسط من خلال هذه الرحلة مست الجوانب الأربعة: السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

وختمت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها.

وبحكم طبيعة الموضوع التاريخية فقد كان المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي عن طريق جمع النصوص التاريخية من بطون المصادر، وكذا أسلوب الإستقراء والتحليل وهو إحدى غايات البحث وواحدة من أهدافه وذلك لإظهار الوجه الحقيقي لحياة الناس في حقبة زمنية معينة والإرتكاز أيضا على المنهج الوصفي خصوصا خلال وصف المسالك والمدن التي زارها الرحالة عبد الباسط واللجوء إلى المقارنة بين نصوص الرحالة والجغرافيين المختلفة والإستشهاد بما جاؤوا به من حقائق ومعلومات. كما استخدمت الإستنتاج في هذا البحث وحتى خاتمته كانت عبارة عن استنتاجات لموضوع البحث .

لا أنفي وجود بعض الصعوبات التي واجهتني وتمثلت في نقص المعلومات المتعلقة بالأوضاع الاجتماعية والإقتصادية في كتب الرحالة والجغرافيين أحيانا وتشابهها أحيانا أخرى مما صعب المقارنة بينها. كذا ندرة كتب ومؤلفات عبد الباسط بن خليل وذلك لأنه مر بنكسات في حياته وحالات نفسية قام بعدها بإتلاف العديد منها ومن جهة أخرى لم يدون رحلته في كتاب مستقل بل كتبها في مواضيع متفرقة في كتابه الروض الباسم. أضف إلى ذلك الظروف والأحداث المختلفة التي عاشها هذا الوطن خاصة في الحقبة الإستعمارية الفرنسية والتي ساهمت في سرقة وضياع الكثير من تاريخه ومنها الإستحواذ على المخطوطات النادرة.

عرض وتحليل المصادر والمراجع:

من أجل إثراء هذا الموضوع، كان لابد من الاعتماد على مادة علمية قوامها كم لا بأس به من المصادر والمراجع، والتي تفاوتت قيمتها من حيث مدى احتوائها على المعلومات التي لها صلة بهذا الموضوع خاصة من مؤلفات عبد الباسط بن خليل في حد ذاته، ونذكر من بينها:

أولا: كتب الجغرافية

تعتبر هذه المصادر كثيرة ومتنوعة فمنها كتب المسالك والممالك، ومنها كتب الجغرافية العامة التي أغنت البحث بما يحتاج إليه من معلومات مختلفة في العناصر والجزئيات التي يعالجها الموضوع، وتكمن أهميتها في أن كتابها ينقسمون إلى قسمين الأول يضم جغرافيين من أبناء المنطقة أو عاشوا فيها مثل الإدريسي، حسن الوزان.

أما القسم الثاني يضم جغرافيين لم يزوروا المنطقة ونقلوا عن معاصريهم أو كتاب سابقين لهم مثل الحميري الذي نقل عن كل من الإدريسي وصاحب كتاب الاستبصار، ويمكن ذكرها وترتيبها على النحو التالي:

❖ **كتاب المسالك والممالك:** كتاب لأبي عبيد البكري توفي سنة (487هـ/1094م).

يعتبر من أبرز الكتب الجغرافية التي قدمت لنا صورة واضحة عن بلاد المغرب الإسلامي، وقد أفادنا في وصف مدن وقرى المغرب الأوسط، والطرق الرابطة فيما بينها، وقد أفادتي خاصة في مدخل البحث.

❖ **كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي:** تضمن هذا الكتاب الجوانب الطبيعية ووصف المدن والأقاليم والمسافات، على الرغم من كون صاحب الكتاب مشرقيا لم يزر بلاد المغرب إلا أنه كتب واستعان بالمصادر السابقة في تأليفه. وقد أفادني في معرفة بعض المدن والأقاليم المذكورة في البحث.

ثانيا: كتب الرحلة

تكمن أهمية كتب الرحلات في أنها تمدنا بصور حقيقية لشهود عيان للبلدان التي زاروها في شتى الميادين، إضافة إلى أنها تقدم رصيدا غنيا من التراجم لكثير من العلماء. ولكتب الرحلة دور خاص بنسبة كبيرة في موضوع بحثنا، ومن بين هذه الكتب:

❖ **كتاب الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم:** وهو كتاب من تأليف زين الدين عبد الباسط بن خليل (920هـ/1514م)، تحقيق الأستاذ الدكتور عمر عبد السلام التدمري. يحتوي على أربعة مجلدات. رصد هذا الكتاب الكثير من الأحداث والتفاصيل حول الأوضاع التي سادت العالم الإسلامي خلال القرن (9هـ/15م)، باعتبار أن صاحبه مارس التجارة ببلاد المغرب والأندلس.

ثالثا: كتب التراجم والطبقات

❖ " **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** " لأبي عبد الله محمد المليتي التلمساني المعروف بابن مريم (كان حيا سنة 1025هـ/1616م)، يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر في التاريخ، والذي ترجم فيه لحوالي 182 عالما ووليا سواء من أهل تلمسان أو ممن جاء إليها واستقر بها. ويحتوي على معلومات هامة عن الحياة الثقافية في المغرب الأوسط وفي بجاية وتلمسان.

❖ "**نيل الإبتهاج بتطريز الديباج** " لكاتبه أبي العباس أحمد المعروف بالتنبكتي (توفي 1036هـ/1627م).هذا الكتاب احتوى على العديد من العلماء في مختلف الدراسات منهم علماء بجاية وتلمسان. وأفادنا الكتاب خاصة في الفصل الأول للتعريف بشخصيات هامة فيه.

❖ **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي (ت902هـ/1496م)** وهو كتاب في التاريخ وعلم التراجم، وهو من أوسع المصادر يعد هذا المصنف موسوعة لتراجم القرن التاسع بداية من سنة (801 -898هـ/1398-1493م) .

وهو من أهم كتب التراجم المشرقية فقد ترجم فيه للعلماء والقضاة والرواة والخلفاء والملوك والوزراء ممن توفوا في هذا العصر أو تأخروا للقرن العاشر. سرد في ترجمة كل واحد محفوظاته وشيوخه ومصنفاته وأحواله ومولده ووفاته، لذلك اعتمدنا عليه خاصة في الفصل الثاني.

إضافة إلى هذا أفادتنا مجموعة أخرى من المصادر والمراجع نذكر منها:

- **معجم أعلام الجزائر**: لعادل نويهض. يعد مرجعا مهما في التعرف على أعلام الجزائر بمختلف أصنافهم من صدر الإسلام حتى وقتنا الحاضر، وقد أفادني من خلال ما أورده من شخصيات، واستعنت به خاصة في الفصل الأول، واعتمدت على الطبعة الثانية المنشورة من مؤسسة نويهض الثقافية –بيروت – 1980م.
- **مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع والتاريخ** وهي مجلة تهتم بنشر البحوث العلمية في مجالات العلوم الإنسانية و الاجتماعية تصدر عن جامعة معسكر وقد استفدت من العدد الرابع، الذي ضم مقالا مهما للدكتور عبيد بوداود بعنوان: "وهران في العصر الوسيط من خلال كتابات الرحالة و الجغرافيين العرب و المسلمين" .

المـــــدخـــل

المدخـــــــــل:

1- الإطار الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط.

2- نماذج عن رحالة مشارقة في بلاد المغرب الأوسط سبقوا عبد الباسط بن خليل

تعتبر الرحلات سجلا تاريخيا لمظاهر الحياة في مختلف جوانبها السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية خلال فترة تاريخية معينة لِما لها من قيمة تعليمية وإثراء فكر الإنسان من خلال رصد الأحداث، فقد كان معظم الرحالة –ونخص بالذكر منهم الرحالة المسلمون– يحرصون على تدوين مشاهداتهم وأخبار رحلاتهم والمسالك والطرق التي ساروا فيها، ويصفون المدن التي نزلوها والصعوبات التي واجهتهم ومظاهر الحياة والحضارة بمختلف جوانبها في كل بلد طرقوه. "منذ بداية القرن الخامس الهجري أصبح في إمكاننا أن نميز من الرحالة العرب والمسلمين فريقين: رحالة مشارقة ورحالة مغاربة. مع العلم بأن رحلات المغاربة إلى المشرق فاقت كثيرا رحلات المشارقة إلى المغرب."[1]

وعلى الرغم من تعدد دوافع الرحلات في الإسلام فإن ما وصلنا من كتب الرحلات قليل إذا قيس بالمصنفات الخاصة بالرحلات. "ثمة أمل بأن يكون في خزانات الكتب المنتشرة في أصقاع العالم العربي، والتي تكشف خفاياها يوما بعد يوم كثير مما لم نعرف"[2].

[1] السيد عبد العزيز سالم، **التاريخ والمؤرخون العرب**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981م، ص216.

[2] نقولا زيادَة، **الجغرافية والرحلات عند العرب**، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب العالمي،1987، ص 148.

مهما يكن الأمر، فالذي يهمنا هنا هو الحياة العلمية بإقليم المغرب الإسلامي الذي استفاد كثيرا من هجرة علماء الأندلس أثناء المد الإسباني نحو المدن الأندلسية، فقد حمل العلماء المهاجرون علومهم وآدابهم وفنونهم إلى مدن المغرب، فكان من الطبيعي وسط هذا الجو من التشجيع والإثراء أن تقوم به مراكز ثقافية هامة لا تقل مكانة عن مراكز العلم بالمشرق الإسلامي مثل بجاية، وتلمسان، وتونس، وفاس.وسوف نركز على المغرب الأوسط في ظل هذه النزعة العلمية وتوافد الرحالة المشارقة على وجه الخصوص إلى هذا الإقليم.

رغم الاضطرابات السياسية التي ميزت المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق13 –15م)، حيث كان مجالا للصراع بين الدول الثلاث: الحفصية والزيانية والمرينية، إلا أن ذلك لم يؤثر على الحياة الثقافية فيه في ظل النهضة العلمية والمبادلات الفكرية بين حواضر المغرب والمشرق الإسلاميين التي لقيت دعما وتشجيعا من قبل الحكام. فقد توافد العديد من الرحالة العلماء المشارقة إلى المغرب الأوسط والذين ساهموا في رصد الأحداث وتصويرها من خلال كتبهم ومؤلفاتهم، وكان لهم فضل في النهضة الفكرية والحضارية فيه.

وسوف نشير إلى بعض الرحالة المشارقة الذين سبقوا الرحالة عبد الباسط بن خليل الذي خصصنا له محور الدراسة في هذا البحث، ولكن بعد تحديد الإطار الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط.

1- الإطار الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط:

ظهر مصطلح المغرب الأوسط في القرن الخامس الهجري، فخلال القرون الهجرية الأولى لم يكن ظاهرا في الكتابات التاريخية أو الجغرافية على حد سواء، بل كان يعد جزءا من إقليم المغرب الإسلامي. يتفق كل من الإصطخري وابن حوقل والمقدسي– وهم من أشهر وأهم الجغرافيين والرحالة العرب خلال القرن الرابع الهجري /10م– على أن إقليم المغرب ينقسم إلى نصفين، فلقول الأصطخري " وأما المغرب فهو نصفان يمتدان على بحر الروم نصف من شرقه ونصف من غربه، فأما الشرقي فهو برقة [1]، وإفريقية وتاهرت، وطنجة [2] والسوس[3] ، وزويلة[4] وما في أضعاف هذه الأقاليم، وأما الغربي فهو الأندلس"[5] ، ثم قام بتوضيح حدود النصف الشرقي بصفة مفصلة.

---

[1] صقع كبير يشتمل على مدن و قرى بين الإسكندرية و إفريقية، واسم مدينتها انطابلس، وتفسيره الخمس مدن.
ينظر شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر بيروت، 1977، مج1، ص388.

[2] بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء، هو من البر الأعظم وبلاد البربر، وهي آخر حدود إفريقية.
ينظر: الحموي، المصدر نفسه، مج4، ص 43

[3] بلد بالمغرب كانت الروم تسميها قمونية .وقيل السوس بالمغرب كورة مدينتها طنجة وهناك السوس الأقصى كورة أخرى مدينتها طرقلة . الحموي، المصدر نفسه ، مج03 ، ص281 .

[4] بلدان أحدهما زويلة السودان مقابل اجدابية في البر بين بلاد السودان و إفريقية ،وهي أول حدود بلاد السودان، و الأخرى زويلة المهدية ، مدينة بإفريقية بناها المهدي عبد الله إلى جانب المهدية.
ينظر: الحموي، المصدر نفسه، مج03، ص ص159–160.

[5] أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري، **مسالك الممالك**، ط2، دار صادر بيروت ، د.ت، ص 60.

وابن حوقل يؤكد هو الآخر على نفس التقسيم في قوله "و أما الغربي فمن مصر وبرقة إلى إفريقية وناحية تنس إلى سبتة وطنجة فللعرب خاصة وازيلي، وما في أضعاف هذه الأقاليم، وأما الشرقي فهو بلد الروم من حدود الثغور الشامية إلى القسطنطينية إلى نواحي رومية وقلورية والانكبردة والإفرنجة وجيليقية ثم باقي ذلك إلى آخره للعرب في يد أصحاب الأندلس "[1].

أما المقدسي فيضع نفس الحدود لبلاد المغرب قائلا: " فهذا الإقليم بهي، كبير سري، كثير المدن والقرى ... فأول كورة من قبل مصر برقة، ثم إفريقية ثم تاهرت ثم سجلماسة ثم فاس ثم السوس الأقصى، ثم جزيرة اصقلية تقابل إفريقية والأندلس وراء البحر على أرض الروم"[2].

فعلى الرغم من اختلاف جغرافيي هذه المرحلة في تحديد الجانب الغربي أو الشرقي من بحر المغرب إلا أنهم يتفقون على أن بلاد المغرب تمتد من برقة شرقا إلى البحر المحيط غربا.

[1] أبو القاسم ابن حوقل النصيبي، **صورة الأرض**، ط2، دار صادر بيروت، د.ت، ص60.

[2] شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط2، دار صادر بيروت، د.ت، ص ص 215-216

هذه الحدود هي نفسها التي يضعها البكري– من كتاب القرن الخامس الهجري /11م– لبلاد المغرب، ولكن تحت تسمية إفريقية: "وحد إفريقية: طولها من برقة شرقا إلى مدينة طنجة غربا، واسم طنجة موريطانية، وعرضها من البحر إلى الرمال التي هي أول بلاد السودان وهي جبال رمال عظيمة متصلة من الغرب إلى الشرق ..."[1]

أما عن المغرب الأوسط فيعتبر البكري أول من استعمل هذا المصطلح في كتابه للتدليل على إقليم قاعدته مدينة تلمسان حيث قال:" وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ... وهي دار مملكة زناتة[2] متوسطة قبائل البربر ومقصد لتجار الآفاق"[3].

إلى غاية منتصف القرن الخامس الهجري /11م لم يكن مصطلح المغرب الأوسط متداولا رغم أنه كان مجالا واسعا قد برزت فيه مجتمعات لها عادات وتقاليد متنوعة، ودول لها سياسات وعلاقات مختلفة، وحواضر لها من القيمة ما نافست فيها حواضر عريقة.[4]

---

[1] أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري ، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب جزء من كتاب المسالك والممالك** ، تح جمال طلبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط2003،1،ج02، ص 193

[2] زناتة هو جانا بن يحيي بن ضريس بن جالوت، وجالوت هو ونور بن جربيل بن جديلان بن جاد بن رديلان بن حصي بن باد بن رحيك بن مادغيس الأبتر بن قيس بن عيلان .(وفي) رواية أخرى عنه أن جالوت بن جالود بن بردنال بن قحطان بن فارس ،وفارس مشهور .(وفي) رواية أخرى عنه أنه ابن هربال بن بالود بن ديال بن برنس بن سفك ،وسفك أبو البربر كلهم ،و نسابة الجيل نفسه من زناتة يزعمون أنهم من حِمْيَرَ ،ثم من التبابعة منهم ".
ينظر: ابن خلدون عبد الرحمان، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تح خليل شحادة وسهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، 2000، ج7، ص5.

[3] البكري ، المصدر نفسه ، ص259

[4] عبد القادر بوعقادة ، "**هل المغرب الأوسط خرافة ؟**" ،عصور الجديدة ، مختبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة ،ع 21–22 ، ماي 2016م ، ص63

في القرن السادس الهجري بدأ الجغرافيون العرب والمسلمون في وضع أقسام لهذه البلاد، ويعد الزهري أول الجغرافيين الذين قسموا بلاد المغرب إلى ثلاثة أصقع ووضع حدود تقريبية للمغرب الأوسط، إلا أن هذا المصطلح لم يظهر في كتابه بل ظهر لأول مرة في كتابات القرن السادس الهجري /12م عند الإدريسي حيث يذكر:"...وفيه من بلاد المغرب الأوسط تنس وبرشك، وجزائر بني مزغنا، وتدلس، وبجاية، وجيجل ومليانة والقلعة والمسيلة، والغدير ومقره ونقاوس وطبنة والقسنطينة وتيجس وباغاي وتيسفاش ودار مدين وبسلزمة ودار ملوك وميلة"[1] .

ولكن في موضع آخر من كتابه يؤكد أن مدينة بجاية قاعدة المغرب الأوسط بقوله: "ومدينة بجاية في وقتنا، مدينة المغرب الأوسط، وعين بلاد بني حماد، ومدينة تلمسان قفل بلاد المغرب الأوسط."[2] ولم يختلف معه الجغرافي ابن سعيد المغربي (685هـ/1287م) لاعتباره "مدينة بجاية قاعدة المغرب الأوسط "[3]

[1] القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، **مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق لأبي عبد الله الشريف الإدريسي**، تح اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1983 ، ص124.

[2] المصدر نفسه، ص 161

[3] عبد العزيز فيلالي، **بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط** ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2014م، ص12.

ومن كتاب آخر كتاب الإستبصار يظهر فيه مصطلح المغرب الأوسط وتلمسان قاعدته، حيث قال صاحبه: "وفيه مدن كثيرة وقاعدتها مدينة تلمسان، وحد المغرب الأوسط من وادي مجمع، وهو في نصف الطريق بين مدينة مليانة ومدينة تلمسان، وبلاد تازا من بلاد المغرب في الطول، وفي العرض من البحر الذي على ساحل البلاد التي ذكرناها في البلاد الساحلية، مثل مدينة وهران ومليلة وغيرها من البلاد الساحلية إلى مدينة تنزل، وهي مدينة أول الصحراء وهي على الطريق إلى سجلماسة ."[1]

وفي هذا القرن ظهرت أيضا تقسيمات لبلاد المغرب في كتابات المشارقة، إذ قسمها ياقوت الحموي إلى قسمين: إفريقية وبلاد المغرب. حيث يقول عن إفريقية :"اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة ...وحد إفريقية من طرابلس الغرب من جهة برقة والإسكندرية إلى بجاية وقيل إلى مليانة، فتكون المسافة نحو شهرين ونصف"[2]. وأما عن المغرب فيحدده على الشكل التالي :"...و هي بلاد واسعة ووعثاء شاسعة، قال بعضهم: حدها من مدينة مليانة وهي آخر حدود إفريقية إلى آخر جبال السوس التي وراء البحر المحيط وتدخل فيه جزيرة الأندلس وإن كانت إلى الشمال أقرب ما هي وطول هذا في البر مسيرة شهرين "[3].

---

[1] مجهول ، **كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب** ، تع سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص 176.

[2] الحموي، المصدر السابق ، مج 01 ، ص 228

[3] عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، مصر، 1994م، ص 281.

ومن كتاب القرن السابع الهجري /13م أعطى عبد الواحد المراكشي وصفا لنفس التقسيم ووضع مدينة قسنطينة كحد فاصل بين إفريقية والمغرب قائلا: "فقسطنطينة آخر بلاد إفريقية، ما يلي البحر منها وما يلي الصحراء، وما بعد قسطنطينة فهو من المغرب غير إفريقية "[1].

ويعد جغرافيو القرن الثامن الهجري /14م أكثرهم وضوحا في تحديدهم لبلاد المغرب. وأولهم أبو الفداء الذي قسم هذا الإقليم إلى ثلاث قطع، فهي حسب قوله: "وبلاد المغرب ثلاث قطع الغربية منها تعرف بالمغرب الأقصى، وهو من ساحل البحر المحيط إلى تلمسان غربا وشرقا، ومن سبتة إلى مراكش ثم إلى سلجماسة وما في سمتها شمالا وجنوبا، والقطعة الثانية تعرف بالمغرب الأوسط، وهي من شرقي وهران عن تلمسان مسيرة يوم في شرقيها إلى آخر حدود مملكة بجاية من الشرق، والقطعة الثالثة الشرقية إفريقية، وتمتد إلى برقة إلى حدود ديار مصر ..."[2]

[1] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص289.

[2] عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر أبو الفداء، **تقويم البلدان**، دار صادر، بيروت ، د. ت، ص122.

ولم يظهر مصطلح المغرب الأوسط في كتاباته ونصوصه إلا نادرا وهذا راجع إلى أن تلمسان التي تعد قاعدة المغرب الأوسط كانت تابعة لأقاليم "الملك المريني أبي الحسن"[1] إضافة إلى هذا التقسيم لبلاد المغرب حسب الدول التي كانت قائمة بها، قام كل من الوزان ومارمول كربخال في مطلع القرن العاشر الهجري بتقسيم بلاد المغرب واللذان سمياها بلاد البربر تقليدا للرومان إلى أربع مماليك هي: "مملكة مراكش، مملكة فاس، مملكة تلمسان ومملكة تونس"[2]، لتضم مملكة تلمسان عنده أربعة أقاليم هي: "إقليم تلمسان وعاصمته تلمسان، إقليم تنس المسمى لاسم العاصمة، إقليم الجزائر وعاصمته جزائر بني مزغنى، إقليم بجاية التي تحمل عاصمته نفس الإسم"[3]، وبذلك تكون بجاية عنده تابعة لمملكة تلمسان على عكس الوزان. ومن جهته يشير ابن خلدون في قوله:" إن المغرب الأوسط هو في الأغلب ديار زناتة وقاعدته لهذا العهد تلمسان وهي دار ملكهم "[4]

---

[1] هو علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، أبو الحسن، المنصور بالله، من كبار بني مرين ملوك المغرب، ولد سنة 697 هـ/1297 م، بويع بفاس بعد وفاة أبيه سنة 731 هـ بعهد منه، زحف على تلمسان سنة 735هـ، فافتتح وجدة، واستولي على وهران وهنين ومليانة والجزائر، وجدد بناء المنصورة قرب تلمسان، ثم تم له فتح تلمسان، مات بجبل هنتاثة سنة 752 هـ/1351 م بعد أن ثار عليه ابنه أبو عنان فارس وطلب الأمر له، ولابن مرزوق كتاب في سيرته سماء "المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبي الحسن". خير الدين الزركلي، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 15، 2002 ، ج 04، ص311.

[2] مارمول كربخال، **إفريقيا**، تر: محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1984، ص25.

[3] مارمول كربخال، المرجع نفسه، ص27 –28

[4] ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص120.

2- نماذج عن رحالة مشارقة قبل الرحالة عبد الباسط بن خليل:

- اليعقوبي:(ت 284هـ/ 897م)

المؤرخ الجغرافي اليعقوبي الذي زار كل أقطار المغرب الإسلامي في ق3هـ/9م.

هو" أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الاخباري العباسي. ذكره أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب المصري الكندي المؤرخ في تاريخ له ابتدأه بسنة ثمانين ومائتين، وله تصانيف كثيرة منها: كتاب التاريخ كبير، كتاب أسماء البلدان مجلد وكتاب في أخبار الأمم السالفة صغير، كتاب مشاكلة الناس لزمانهم ."[1]

- ابن حوقل محمد بن علي النصيبي [2](431هـ/1039م) :

هو "أبو القاسم محمد بن علي النصيبي الموصلي البغدادي المعروف بابن حوقل. أصله من الجزيرة، ونشأ في بغداد إلى أن غادرها في رحلاته المطولة منذ عام 331هـ، وامتدت غربته أكثر من ثلاثين سنة، واشتغل بالتجارة والأسفار."[3]. جاب ربوع المغرب والأندلس وصقلية.

---

[1] ياقوت الحموي الرومي، **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تح الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1993، ص 557.

[2] أطلق عليه عبد الرحمن حميدة في مؤلفه أعلام الجغرافيين العرب "الموصلي" ، كما يذكر بأنه تعاطى التجارة في الموصل فترة من الزمن. عبد الرحمن حميدة، **أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم**، دار الفكر المعاصر، سوريا، 1416هـ/ 1995م، ص210.

[3] عبد الرزاق أبو الصبر، **تاريخ الغرب الإسلامي**، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان، ج1، 2012م، ص 266.

كان ابن حوقل شغوفا بقراءة أدب الرحلة وكتب المسالك والأسفار والرحلات الطويلة، فقد طالع كتاب ابن خرداذبة و"الجيهاني"[1]، وتذكرة أبي الفرج قدامة بن جعفر(ت337هـ/948م) كما التقى في أسفاره بمعاصره أبي إسحاق المشهور بالإصطخري"عام 340هـ/952م، وكان لهذا اللقاء أثر كبير في عنايته بالتأليف الجغرافي."[2]

بدأ رحلاته انطلاقا من بغداد يوم الخميس 8 رمضان سنة 331هـ/ 945م، وقد أمضى في رحلاته الواسعة زهاء ثلاثين عاما ساح خلالها في أرجاء العالم الإسلامي شرقا وغربا من نهر السند حتى ضفاف البحر المحيط، وتوغل في مناطق أخرى كثيرة، عدا الصحراء الكبرى التي لم يشاهد منها إلا جزءا يسيرا، ومن أهم مؤلفاته كتابه صورة الأرض الذي جاء في مقدمته: "هذا كتاب المسالك والممالك، والمفاوز والمهالك، وذكر الأقاليم والبلدان، على مر الدهور والأزمان ...وطبائع أهلها وخواص البلاد في نفسها، وذكر جباياتها وخراجاتها ومستغلاتها وذكر الأنهار الكبار واتصالها بشطوط البحار.

[1] ابراهيم بن محمد الجيهاني (أواخر القرن 3هـ/10م): أبو عبد الله عالم عربي من علماء الجغرافيا، كان وزيرا لأمير خراسان، كما كان صاحب فلسفة ونجوم و هيئة، ويقال أنه كان يجمع الغرباء و يسألهم عن الممالك ودخلها و كيف يمكن أن تكون مسالكها، وكان الوزير الجيهاني يتوصل بذلك إلى فتوح البلدان ويقدر دخلها، لينتقل بعد ذلك إلى دراسة علم النجوم ودوران الفلك. قصي الحسين، **من معالم الحضارة العربية الإسلامية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، ط1، 1414هـ /1993م، ص ص 86-87.

[2] عبد الرزاق أبو الصبر، المرجع نفسه، ص 266.

ومسافة بين البلدان للسفارة والتجار مع ما ينضاف إلى ذلك من الحكايات والأخبار، والنوادر والآثار" [1]، معتمدا على ما جمعه وشاهده خلال رحلاته.

- "علي بن أبي بكر"[2] بن علي الهروي[3] (611هـ /1214م):

هو "أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي الهروي الأصل الموصلي المولد، السائح المشهور نزيل حلب. وكاد يطبق الأرض بالدوران، فإنه لم يترك برا ولا بحرا ولا سهلا ولا جبلا من الأماكن التي يمكن قصدها ورؤيتها إلا رآه، ولم يصل إلى موضع إلا وقد كتب خطه في حائطه."[4]

يقول محمد مؤنس أحمد عوض:" وقد وجدت فيه صفة مميزة وهي حب الترحال والأسفار، ثم كتابة اسمه على الآثار التي يزورها، ويبدو أنه رغب من وراء ذلك أن يخلد اسمه من بعد وفاته على اعتبار أن الأشخاص يرحلون وتبقى الآثار شاهدة عليهم حتى بعد رحيلهم.هذا الاحتمال وارد والتفسير الذي ذهب اليه هذا الباحث منطقي جدا لكن من المؤكد أن المؤلفات التي تركها الهروي هي أولى بتخليد اسمه، وعليه فالهروي من الرحالة

---

[1] ابن حوقل، صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت – لبنان، 1992، ص 05

[2] وقيل كنيته أبو طالب، زكي محمد حسن، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، دار الرائد العربي، بيروت، 1401هـ/1981م، ص 89

[3] الهروي : بفتح الهاء والراء وبعدها واو، هذه النسبة إلى مدينة هراة، وهي إحدى كراسي مملكة خراسان فإنها مملكة مملكة عظيمة وكراسيها أربعة نيسابور ومرو وبلخ وهراة. وهراة بناها الإسكندر ذو القرنين عند مسيره إلى المشرق.
أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح الدكتور إحسان عباس، ج3 ، دار صادر بيروت، 1398-1978، ص ص 348-349.

[4] أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، المصدر السابق، ص 346.

الذين وفدوا على بلاد المغرب، ولم يتم الإشارة إلى تاريخ ذلك كما زار بلاد الشام ومصر وبلاد الروم والعراق ومكة المكرمة والمدينة واليمن وبلاد فارس وذهب إلى الهند وصقلية والعديد من جزائر البحر المتوسط ."[1]

أقام الهروي في نهاية حياته تحت رعاية الملك الظاهر ملك حلب حتى توفي في سنة 611هـ. "كتابه الإشارات إلى معرفة الزيارات هو الكتاب الذي وصل إلينا من مؤلفاته، وقد سجل فيه وصفه للمزارات والمساجد التي زارها وشاهدها في رحلته."[2]

- أبو العباس الجدلي الشريف (ق7هـ/13م):

فقيه ومحدث وفد على بلاد المغرب. هو من أهل أصبهان، ودخل بلاد المشرق والصين والهند وبلاد الدروب. دخل المغرب فوصل إلى إفريقية في خلافة "المستنصر بالله" [3]، رحمه الله فنما إليه خبره واستحضره وحضر معه بين يديه بعض الطلبة فسأله عن البلاد التي دخلها وعن الغرائب التي اطلع عليها، فذكر له ما حضره"[4] ، ثم انفصل

---

[1] محمد مؤنس أحمد عوض، المرجع السابق، ص 265 / هبة الله محمد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص 223

[2] السيد عبد العزيز سالم، المصدر السابق، ص 218.

[3] "المستنصر بالله (647-675هـ/1249-1276م): أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا يحيي بن الشيخ أبي محمد بن عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص، تولى الحكم بعد وفاة والده وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، بويع أولا ببونة ثم بتونس، وتسمى في أول أمره بالأمير فقط ثم تلقب بأمير المؤمنين المستنصر في سنة(665هـ/1266م) بعدما بايعه أهل مكة ثم الشام والأندلس وقرب إليه العلماء والأدباء . ثار عليه ابن عمه في تونس سنة (648هـ/1250م) وتوفي بداره في تونس. الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية** تح وتع محمد ماظور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م، ص ص 32-40 .

[4] الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة، بيروت ، الطبعة 2، أفريل 1979م، ص 183.

من إفريقية وورد على بجاية وأقام بها مدة ثم رحل إلى بلاد المغرب ودخل سبتة ومنها ذهب إلى درعة.

قال عنه الغبريني:" وكان عالما بجدل العميد[1]، محكما له، باحثا عن طريقته، ووقفت من تقييده في أصول الدين على مقال محكم الإيراد، غرٍ عن الانتقاد رحمه الله تعالى"[2]. توفي بالمغرب باعتبار أن آخر المدن التي تواجد بها تقع بالمغرب الأقصى.

[1] جدل العميد: وهو أحد طرق علم الجدل ويسمى بجدل العميد نسبة إلى ركن الدين العامدي. وهذه الطريقة عامة في كل دليل يستدل به من أي علم كان، والعامدي هو من كتب فيها ونسبت الطريقة إليه ووضع كتابه المسمى بالإرشاد المختصر و تبعه من بعده المتأخرين فكثرت في الطريقة التأليف. حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون**، تح محمد شرف الدين يالتقايا ، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان، ج1، ص457.

[2] الغبريني ، المصدر السابق ، ص 184

ومن هذا وغيره سنجد أن الرحلة شكلت فضاء للإنفتاح والإنطلاق في المعرفة لأنها اتخذت من التجربة والمشاهدة المباشرة أساسا لتدوين ووصف جوانب الحياة وإعطاء معلومات دقيقة عن الأحوال الإقتصادية والاجتماعية والعمرانية، كذا وصف البلدان والممالك والأصقاع والمسالك. ولقد استمر التفاعل بين المشرق والمغرب عبر التاريخ بتنوع الرحلات على اختلاف أهدافها ومقاصدها وتعددت بتعدد أسبابها وحوافزها، مما أدى إلى الربط المتين بين ثقافتيهما رغم تفاوت التوافد إليهما من قبل الرحالة الذين جالوا وتركوا تصانيف ومؤلفات بمثابة معاجم جغرافية ضروري رجوع الدارسين إليها والنهل منها. ويعد عبد الباسط بن خليل من الرحالة المشارقة الذين كان لهم الفضل في ذلك والسير على خطى سابقيه من الرحالة الذين أسهموا في نقل ثقافات الشعوب باختلاف أنواعها ومواقعها والدفع بالمهتمين من العلماء إلى زيارتها والنهل من معارفها وعلومها.

الفصل الأول:

حياة عبد الباسط بن خليل بن شاهين

الفـصـــــل الأول:حياة عبد الباسط بن خليل بن شاهين

أولا: التعريف بالرحالة عبد الباسط بن خليل

1. مولده ونسبه.
2. أسرته:
   - أ. جده الأمير شاهين
   - ب.أبوه خليل بن شاهين
   - ت. أمه
3. وفاته

ثانيا: سيرته العلمية

1. صفاته ومكانته العلمية
2. نكساته الصحية وتأثيرها عليه
3. شيوخه
4. مؤلفاته

كان عبد الباسط مؤرخا متعدد المعارف والعلوم، اهتم بطلب العلم واشتغل بالتجارة

والتأليف حيث تنوعت مصادره وثقافته التي طرقت شتى أبواب المعرفة سواء في اللغة، أو الفقه، أو التاريخ، أو الهندسة أوالطب. ويرجع الفضل في ذلك إلى عاملين مهمين من خلالهما اكتسب هذا الرصيد الإجتماعي والثقافي، العامل الأول اكتسبه من بيئته التي ترعرع فيها، حيث كان لوالده مكانة مرموقة في مصر الذي وصل إلى رتبة الوزارة وغيرها من مراتب رفيعة سمحت لعبد الباسط بأن يجتمع بالملوك والولاة والسلاطين والوجهاء والفقهاء والقضاة وأهل العلم. تلك العلاقات أكسبته موقعا إجتماعيا محترما. أما العامل الثاني فيتجلى في التجارة التي لم تصرفه عن هدفه في طلب العلم، بل زاوج بينهما، فاجتمع بكبار التجار ونسج علاقات وصداقات واسعة النطاق في كل مدينة ينزلها ويقيم فيها، وتعدت إطارها الجغرافي لتصل إلى حواضر مختلفة كحواضل المغرب الإسلامي ونخص بالذكر تلك الواقعة في المغرب الأوسط الأمر الذي مكنه من التعرف على بلدان وأقطار عديدة ليقدم لنا معطيات لا يمكن الإستغناء عنها لمعرفة مقطع هام ومجهول من حياة شعوبها.

أولا: التعريف بالرحالة

1- مولده ونسبه:

عبد الباسط بن خليل هو" أبو المكارم زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، الملطي، الحنفي"[1] . ولد بمدينة "ملطية"[2] في " ليلة الأحد 11 من شهر رجب سنة (844 هـ/1440م)"[3].

انتمى زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الشيخي الصوفي الملطي إلى "أسرة مملوكية شهيرة يتميز أفرادها بالعلم وسعة الثقافة، يرجع دخول هذه الأسرة إلى مصر أواخر القرن الثامن الهجري"[4]، حيث كان الأمير شاهين جد عبد الباسط أحد مماليك "السلطان الظاهر برقوق" [5] الممتازين.

---

[1] زين الدين عبد الباسط بن خليل ابن شاهين الظاهري الحنفي، **نيل الأمل في ذيل الدول**، تح: عمر عبد السلام تَدمُري، القسم الأول ،ج1، المكتبة العصرية سَيدا – بيروت – ،1422هـ/2002م، ص07.

[2] **مدينة ملطية** : هي مدينة كبيرة في منطقة شرق الأناضول في تركيا وعاصمة محافظة، كانت المدينة مستوطنة بشرية منذ آلاف السنين. تقع قرب نهر الفرات في تركيا. وسكانها خليط من الكرد والترك. بناها الإسكندر وبنى جامعها الصحابة بعد الفتح.

ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، المصدر السابق، ج05، ص192.

[3] السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمان (ت 902هـ /1497م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج4، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص27. زكي محمد حسن، المصدر السابق، ص 172. كراتشكوفيسكي أغناطيوس يويانوفيتش، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ج01، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1963م، ص445.

[4] عبد الباسط بن خليل ، المصدرالسابق، ج02، ص07.

[5] **الظاهر برقوق (784-791هـ)**: هو السلطان أبو سعيد سيف الدين الملقب بالظاهر برقوق، لجحوظ عينيه. ولقب بالعثماني نسبة إلى الخواجا أي التاجر فخر الدين عثمان، ونسبه إلى أستاذه لقب بالبلغاوي. كانت الأمور قبل سلطته بيد الأتراك وكان من غير بيت المملكة. ساعدته الأقدار على بلوغ الحكم، و أظهر حكمته في تسيير أموره. شفيق مهدي، **ممالك مصر والشام (نقودهم،نقوشهم، مسكوكاتهم، ألقابهم)**، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ط 01، 2008م، ص 159.

2- أسرته:

أ- جده الأمير شاهين:

هو الشيخ شاهين "وهو من أصول تترية، من جهة جده لأبيه شاهين الشيخي."[1] وقد ترجم عبد الباسط له ضمن ترجمته لأبيه فقال:" شاهين من مماليك الظاهر برقوق، ملكه عن الشيخ الصفوي أمير مجلس لما خرج إلى القدس بطالا. ويقال أنه تتري الأصل، مسلم، من مدينة سراي. وإنما سمي شاهينا لأن التتر كانت في أول دولة الظاهر في مقت وإبعاد"[2].

يعد الشيخ شاهين من العائلات الوجيهة لمكانته العلمية والدينية، فقد" لمع في دولة الناصر فرج (801-815 هـ) واحتل مكانة مرموقة في عهده. حيث تولى نيابة القدس، فأحسن سياستها ولكنه لم يلبث بسبب الإضطرابات العنيفة التي انتهت بمقتل الناصر فرج بدمشق 815هـ. اعتزل السياسة وعاش في القدس ثم انتقل إلى القاهرة سنة 828هـ واستقر بها نهائيا خلال عهد الأشرف برسباي الذي أكرمه، و لكنه ظل بعيدا عن المشاركة في الحياة السياسية حتى توفي سنة 834هـ"[3].

ب- والده الأمير خليل:

والد عبد الباسط هو الأمير خليل بن شاهين الظاهري"(813-873هـ/1410-1467م)"[4] قال عنه عبد الباسط في كتابه نيل الأمل في ذيل الدول : " خليل بن شاهين الشيخي، الصفوي، الظاهري، المقدسي المولد القاهري، الحنفي، الأمير الوزير، الصاحب،

---

[1] عبد الباسط بن خليل، المصدر السابق، ج01 ، ص07 .

[2] عبد الباسط بن خليل، المصدر السابق، ج01 ، ص07.

[3] زين الدين عبد الباسط ، **الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم**، تح: محمد محمد عامر، كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، 1977م/1978م، ص 59.

[4] خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ص318

غرس الدين، المعروف بنائب الإسكندرية... ولد بالقدس الشريف "بالمدرسة الخاتونية"[1]. وكان ذلك يوم في يوم الجمعة الحادي أو الثالث عشر شعبان من سنة إحدى أو ثلاث عشرة وثمانمائة هجري ".[2]

كان أبوه من أمراء المماليك فقد "تعلم بالقاهرة، وولي نظر الإسكندرية ثم نيابتها سنة 837هـ و حمدت سيرته فنقل إلى الوزارة بالقاهرة فاستعفى بعد مدة يسيرة. وسافر سنة 840هـ أميرا للحاج المصري. وولي نيابة الكرك، فأتابكية صفد، فنيابة ملطية، فأتابكية حلب. وشكا نائبها منه، فاعتقل وسجن بقلعتها مقيدا، ثم أطلق. وولي إمرة الحاج الدمشقي مرتين."[3] وبذلك فقد كان من أعلام رجال الإدارة والسياسة والفكر في الدولة المملوكية لمدة تزيد على 30 عاما، وقد شكلت حياته مصدرا مهما من المصادر التي اعتمد عليها عبد الباسط في كتابه.

وقد ترك عدة مؤلفات نذكر منها: " كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، الإشارات إلى علم العبارات، المواهب في اختلاف المذاهب و ديوان شعره في عدة أجزاء "[4]. توفي في طرابلس .

---

[1] تنسب إلى واقفتها أغل خانوت بنت شمس الدين بن سيف الدين القازانية البغدادية، سنة 755هـ.انظر: رائق يوسف نجم، **كنوز القدس**، منشورات منظمة المدن العربية، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن، رقم 94، 1403هـ/1983م، ص247.

[2] زين الدين عبد الباسط، نيل الأمل في ذيل الدول، المصدر السابق، ص9.

[3] خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج02، ص318.

[4] خير الدين الزركلي، المرجع السابق ، ج02 ، ص318 .

ج- والدته:

أمه أم سرية اسمها "شكرباي" تزوج بها والده بعد عتْقِها، كانت-حسب قوله – من خيار نساء عصرنا دينا و خيرا. ماتت بدمشق في نفاسها سنة 852 هـ وله من العمر ثمان سنوات، ومات ولدها الذي وضعته بعدها بأيام. وكان له أخ من أبيه يدعى "يوسف بن خليل " مات في سنة 848هـ[1].

الغريب في قصة حمل أمه به كما ذكر في كتاب نيل الأمل واستدل به "من غريب ما وقع في أمر حمل والدته به أنها كانت تلد الإناث، وما ولدت ذكرا قبله، فصارت تتمنى الذكر، فاتفق أن حملت به فخرجت من القدس إلى مدينة جرون حيث مدفن سيدنا الخليل-على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام- فدخلت إلى حرمه ليلا ثم كشفت عن بطنها وأمسته سردا به، ونذرت شيئا وافرا من المال أن يكون صدقوا لفقراء حرمه إن ولدت ما في بطنها ذكرا، وأن تسميه الخليل، فلما وضعته كان ذكرا بإذن الله تعالى، فسمته الخليل، ثم وفت بما نذرته، ثم ألبسته في أذنه خرصا من ذهب بلؤلؤة ذكرت أنها شرتها لخمسين دينارا ذهبيا".[2]

3- وفاته:

أجمعت الدراسات التي أجريت حول عبد الباسط بن خليل الملطي، وكل المصادر التاريخية على أنه توفي سنة 920هـ-1515م، بالقاهرة يوم الثلاثاء في الخامس من شهر ربيع الأخير، والذي أرخ موته كان تلميذه ابن إلياس في قوله :"وفي يوم الثلاثاء خامسه كانت وفاة شيخنا العلامة زين الدين عبد الباسط بن الغرسي خليل بن شاهين الصفوي الحنفي ...وكان مولده سنة أربع وأربعين وثمانمائة فكانت مدة حياته نحو ست وسبعين سنة ."[3]

---

[1] عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم في حوادث العم والتراجم، المصدر السابق، ج01، ص13.

[2] عبد الباسط بن خليل، نيل الأمل في ذيل الدول، المصدر السابق، ص9.

[3] محمد بن أحمد بن إلياس الحنفي، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تح محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1402-1982، ج4، ص ص 373-374

ثانيا: سيرته العلمية

1- صفاته ومكانته العلمية:

عندما كان خليل والد عبد الباسط نائبا على مدينة ملطية وفي هذه البيئة العلمية الحافلة وهذا المجال السياسي اللامع بها ولد عبد الباسط، وفتحت له أبواب العلم وهيئت له أسباب التفوق فيه. "قد قضى طفولته وشبابه المبكر متنقلا مع والده في الولايات التي تولاها في الشام مما أتاح له فرصة كبيرة للقاء كثير من العلماء في حلب، ودمشق، والقدس، والخليل وطرابلس. وتلقى العلم على أيديهم والأخذ عنهم مما كان له أثر واضح في ثقافته. كما غرس هذا التنقل في نفسه حب الرحلة والسفر. إضافة إلى عناية والده المستمرة به والقيام بتربيته وتعليمه بنفسه، و تعلم على يده التركية"[1] .

في سنة 859هـ انتقل مع أبيه إلى طرابلس، وفي أول نزولهما طرابلس نزل والده في دار عيسى التاجر الطرابلسي أحد التجار المياسير بها وبقي بها مدة ثم قام بعمارة أمكنة فوق الجبل المطِلّ على محلّة العُوَيراتية بأطراف المدينة. وفي سنة 865 هـ كان في عمره 21 سنة قدم إلى القاهرة مع والده الذي تم استدعاؤه من دمشق ليكون مدبر السلطان الأشرف أحمد بن أينال ومشير دولته في القاهرة انفتحت أمامه مجالات الثقافة المتنوعة فقد قدمه والده إلى كبار العلماء بها مثل الشيخ الإسلام الكافيجي وقاضي القضاة عالم الدين البلقيني والسخاوي، حيث أكمل تعليمه على أيديهم وأجازه كل منهم بالإفتاء والتدريس وشهد له بالتقدم في تخصصه مثل الفقه، الحديث، التاريخ... كان مشغوفا بالعلم والتحصيل الواسع وكان يتحرق إلى دراسة الطب دراسة علمية متخصصة على يد كبار الأطباء في عهده. [2]

[1] زين الدين عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، ج02، المصدر السابق، ص62.

[2] زين الدين عبد الباسط بن خليل، المصدر السابق، ص62.

لقد كان المغرب الإسلامي مشهورا آنذاك بأطبائه وتقدمه في دراسة الطب، رغم الأحداث السياسية والهجمات المتداولة على المغرب الأوسط، ازدهرت الحياة الفكرية فقد عرفت نشاطا فكريا كبيرا جاء امتدادا للقرن الثامن الهجري الذي شهد تنوع العلوم وكثرة المثقفين والعلماء الكبار التي كانت لديهم شهرة واسعة في العالم الإسلامي، نظرا لانجازاتهم ومؤلفاتهم الضخمة. نخص بالذكر منهم "سعيد العقباني"[1]، "محمد الحباك"[2] "محمد المشدالي"[3] ،"أحمد الونشريسي"[4] وغيرهم. كما كانت تلمسان قبلة لطلب فنون العلم، ما يدل على تألق ولمعان هذه المدينة يومها.

1 سعيد بن محمد بن محمد بن محمد التجيني العقباني التلمساني: إمام تلمسان وعلامتها في عصره، قاض، من أكابر فقهاء المالكية. من أهل تلمسان، أخذ عن إبني الإمام والآبلي. ولي قضاء بجاية أيام السلطان أبي عنان المريني والعلماء يومئذ متوافرون .كما ولي قضاء تلمسان ووهران ومراكش وسلا، ومدة ولايته نيف و أربعين سنة. قال صاحب نيل الإبتهاج: "والعقباني نسبة لعقبان قرية بالأندلس، أصله منها، تجيني النسب". من آثاره شرح الحوفية تفسير سورتي الأنعام والفتح، شرح البردة،...شرح العقيدة البرهانية. عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والتأليف والنشر، بيروت- لبنان ، ط1400،2هـ/1980م، ص ص 236-237.

2 غلبت عليه علوم الدنيا، فضلا عن اهتمامه بعلم الفرائض والمواريث خصوصا علوم الاسطرلاب حيث أجاده، توفي 857هـ-1463م. انظر: ابن مريم، محمد بن محمد أبو عبد الله، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر- 1986، ص ص219-220.

3 هو أبو الفضل محمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد بن حسن بن عبد المحسن المشدالي البجائي.نبغ في علوم شتى منها الطب. ولد ببجاية حوالي سنة 821هـ. حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة. أخذ الكثير من العلوم عن أبيه وأخيه وغيرهم من الشيوخ بمسقط رأسه، قبل أن يرتحل إلى تلمسان مطلع سنة 840هـ لينهل عن الكثير من علمائها مشايخها، فأخذ عن ابن مرزوق الحفيد في التفسير والحديث... وعن أبي الفضل بن الإمام في التفسير و الحديث والطب والتصوف، وعن ابن فشوش في الطب. عاد إلى بجاية سنة 844هـ وتصدر للتدريس، ثم غادرها باتجاه المشرق أين درس و أدى فريضة الحج، وعاد بعدها إلى مصر ودرس بالجامع الأزهر، حيث كان الإمام السخاوي ممن حضروا دروسه. السخاوي، المصدر السابق، ج9، ص ص 180-184.

4 من الفقهاء الكبار، حامل لواء المذاهب على رأس المائة التاسعة الهجرية /الخامسة عشر الميلادية، من مصنفاته في المعيار المعرب عن فتاوى افريقية والأندلس والمغرب، توفي 914هـ-1508م- أنظر: ابن مريم، المصدر نفسه، ص53.

عزم عبد الباسط على الرحلة إلى المغرب لتحقيق هدفه العلمي ومن ثم قام برحلة طويلة إلى المغرب و"الأندلس"[1] استمرت خمس سنوات. زار خلالها أشهر مدن المغرب وبعض المدن الأندلسية التي كانت ما تزال في أيدي المسلمين في المغرب تعلم الطب على مشاهير الأطباء في "القيروان"[2] وتلمسان أمثال "أبي عبد الله محمد البلوي"[3]، "موسى بن شمويل يهودا "[4] الطبيب اليهودي الذي هاجر من الأندلس واستقر في "تلمسان"[5].

[1] الأندلس: التسمية التي تعطى لشبه الجزيرة الأيبيرية في الفترة الممتدة بين 711ه/1492م ، تأسست في البداية كإمارة في ظل الخلافة الأموية، التي بدأت بنجاح من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك(711-750ه)، خلفها ملوك الطوائف، ثم وحدها المرابطون والموحدون قبل أن تنقسم وزالت بصورة نهائية بدخول فرناندو الثاني ملك الإسبان مملكة غرناطة في 2 يناير 1492. الطاهر أحمد مكي، **دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة**، ط2، دار المعارف، 1983م ، ص95.

[2] أول قاعدة إسلامية في بلاد المغرب بعد الفتح، قام ببنائها الفاتح عقبة ابن نافع رضي الله عنه، البكري، المصدر السابق ، ص27.

[3] محمد بن محمد بن محمد البلوي الشهير بابن بكوش، أبو عبد الله : عالم القيروان، ومفتيها و خطيبها. نزل المؤلف بداره بالقيروان في سنة 868هـ. وقال أخذت أتردد إلى مجالس دروسه، وأخذنا عنه العلم الكثير في الوقت اليسير باجتهاد وكثرة ترداد ما بين قراءة عليه وسماع، واستفدنا منه نبذا جيدة في صناعة الطب، وحصلنا الفوائد الجمة الجليلة إلى الغاية والنهاية وأجاز لنا.عبد الباسط بن خليل، نيل الأمل في ذيل الدول، المصدر السابق، ص44

[4] هو طبيب يهودي وفد على تلمسان من الأندلس، عرف باسم ابن الأشقر اليهودي، لازم السلطان الزياني محمد بن أبي ثابت، يقول عنه تلميذه عبد الباسط الذي درس عنده الطب بتلمسان: "لازمت في الكب الرئيس الفاضل الماهر الأدربي الأقدري، موسى بم سمويل بن يهودا الإسرائيلي المالقي الأندلسي اليهودي، المتطبب... لم أسمع بذمي ولا رأيت كمثله في مهارته في العلم..." ، ويضيف قائلا: "ولد بمالقة قبل العشرين وثمانمائة، وأخذ عن أبيه وغيره، ومهر في صناعة الطب، وانتقل إلى تلمسان فقطنها...." عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم ، المصدر السابق، ص ص42- 43

[5] **تلمسان أو تنمسان**: تقع في الشمال الغربي من المغرب الأوسط، كلمة أمازيغية مركبة من لفظتين "تلم" ومعناها تجمع و "سان" معناها اثنان، أي تجمع بين الصحراء والتل أو مابين البر والبحر، لعبت ما بين القرنين (7-9ه/13-15م) دورا بالغ الأهمية، فكانت العاصمة السياسية والإقتصادية والثقافية لدولة بني زيان. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج02، المصدر السابق، ص- ص17-21.

أبو العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ج05، المؤسسة المصرية العامة، دت، ص ص 149-150 .

وقد برع عبد الباسط في الطب ويؤكد كل ذلك قول السخاوي فيه :"دخل المغرب فأخذ دروسا في النحو و الكلام والطب بل أتقنه بخصوصه مع جماعة وممن لقيه هناك أبو عبد الله محمد الزلدوي أحد الآخذين عن ابن عرفة."[1] وقد واصل دراساته في العلوم الدينية واللغوية والأدبية في معاهد شهيرة كجامع "الزيتونة"[2] و"المدرسة المستنصرية"[3] بتونس. وفي مساجد تلمسان ووهران[4] وغرناطة. استقامت له ثقافة عميقة وتمكن من علوم عصره النظرية والعلمية. كما برز في علمي التاريخ والجغرافيا إضافة إلى العلوم الدينية واللغوية.

[1] السخاوي ، المصدر السابق ، ج04 ، ص 27.

[2] شرع في بنائه في عهد الوالي عبد الله بن الحبحاب سنة 114هـ، واستكمل بناؤه و طوره أبو العباس محمد بن الأغلب على عهد المعتصم العباس فكان منذ ذلك العهد مركزا وصرحا كبيرا للعلم والعلماء ثم وسعه أكثر أبو زكرياء يحي الأول الحفصي. ابن أبي الدينار، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، تح الشيخ محمد شمام،المكتبة العتيقة تونس، 1967، ص ص11-12.

[3] مدرسة عريقة في بغداد "أسست ما بين (839هـ و 841هـ)". يصفها ابن بطوطة قائلا :"والمدرسة المستنصرية ونسبتها إلى أمير المؤمنين المستنصر بالله أبي جعفر ابن أمير المؤمنين الظاهر ابن أمير المؤمنين الناصر، و بها المذاهب الأربعة، لكل مذهب إيوان فيه المسجد، وموضع التدريس ..." عبد العزيز بومهرة، التعليم في المغرب والأندلس في القرن الثامن من الهجرة، مجلة التواصل، ع 11، جامعة باجي مختار، عنابة، ديسمبر 2003م، ص128. أنظر كذلك ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تح الشيخ محمد عبد المنعم العريان ، راجعه وأعد فهارسه الأستاذ مصطفى القصاص دار إحياء العلوم بيروت، ط01، ج01، 1408هـ /1987م ، ص234 .

[4] **وهران**: مدينة بالمغرب الأوسط، تقع داخل الخليج الذي يحمل اسمها، وموقعها على المرتفعات الشرقية لجبل مرجاجو، وكانت النواة الأولى للمدينة، تقع على الضفة اليسرى لوادي رأس العين وتدعى(قرية إيفري) وكان سكانها ينتمون إلى قبيلتي مغراوة ونفزاوة البربريتين، ويرجع تأسيسها إلى الأندلسيين الذين كانوا ينتجعون مرسى وهران مع قبائل نفزة وبني موعن وذلك بأمر من الخليفة الأموي في الأندلس، "أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان"(275-300هـ)، وقد شيدت وهران قبل وفاته بعشرة أعوام، أي سنة 290هـ/903م. الحسن الوزان، **وصف إفريقيا** ، تر: محمد حجي،محمد الأخضر ، ط02 ، ج02، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان،1983م ،ص ص30-31.
بشير مقيبس، **مدينة وهران دراسة في جغراقية العمران**، ط01، المدرسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983، ص80.
أنظر كذلك: الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: صلاح الدين الهواري، ط01، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2004م، ص ص25-26.

عرف عبد الباسط بالتسامح الديني واحترام العقائد كما تبين في حديثه عن الطبيب الاسرائيلي، كان قوي المنطق حاضر الحجة، قادرا على إقحام الخصوم دائما، مع حدة لسانه وسلاطته في كثير من الأحيان، كما كان جريئا في إعلان رأيه والمجاهرة به في نقد بعض الأمراء والسلاطين وبيان فشل سياستهم، كما أنه لم يسلم من نقده كبار المفكرين والمؤرخين فلاحق مؤلفاتهم بالنقد والتحليل وكشف عن ما يكون فيها من أخطاء أو مغالطات.

وخير مثال في هذا المجال موقفه من المؤرخ الكبير "ابن تغرى بردي"[1] فقد تعقب أراءه في النجوم الزاهرة وهجم عليه بشدة وقسا في نقده إلى حد غير مقبول فقد اتهمه بالخيال والتحيز والكذب في رواية الأخبار بصورة حادة"[2].

[1] اسمه بالكامل جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي عاش بين سنتي (812و874هـ/1409-1469م) .والده هو الأمير تغري بردي من مماليك الظاهر برقوق.بعد وفاة أبيه قد أمضى حوالي تسع سنوات في كنف أخته وزوجيها على التوالي ابن العديم و البلقيني، وقد واصل بعد وفاة البلقيني الإقبال على الدراسات الدينية والأدبية والسماع على شيوخ العصر كل في مجال شهرته والإتصال بالسلاطين و كبار رجال الدولة.شغف منذ حداثته بالتاريخ والرواية و درس عند المقريزي، بدر الدين العيني ...أهم مؤلفاته النجوم الزاهرة في ملوك مصروالقاهرة، **الأنوار الظاهرة الكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة** ، الدليل الشافي على المنهل الصافي. جمال الدين بن تغري بردي الأتابكي، تح: محمد حسين شمس الدين، ج1، دار الكتب العلمية – بيروت- ط1 ، 1413هـ/1992م، ص- ص10- 15.

[2] عبد الباسط ابن خليل، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، ج02، المصدر السابق، ص65.

شارك في الحياة العلمية بالقاهرة مشاركة جادة فقد تولى تدريس العلوم الدينية في "المدرسة الشيخونية"[1] وفي جامع من زاده، لكن اغتصبت منه وظيفته ظلما وعدوانا ولكنه واصل في الشيخونية وتخرج على يده جيل من العلماء المصريين والوافدين كان منهم المؤرخ المملوكي الشهير أحمد ابن محمد ابن باديس الحنفي، "قضى السنوات الأخيرة من القرن التاسع هجري والعقدين الأول والثاني من القرن العاشر مشغولا بالتدريس والتأليف بعيدا عن الناس، منعزلا في داره حتى أصيب في السنتين الأخيرتين من حياته بمرض خطير توفي على إثره في الخامس من ربيع الثاني سنة 921هـ بعد أن ظل 76 سنة يؤدي رسالته العلمية دارسا ومؤلفا ومرتحلا أحيانا في العالم الإسلامي لكي يقف بنفسه على أحواله السياسية والاجتماعية والعمرانية ويقدم صورا رائعة عنها من مشاهدات وانطباعات وتحليلات ذكية. كما أنه شاهد الأندلس وهي تحتضر وسجل مظاهر الأقوال لهذا الفردوس المفقود"[2] .

من أبرز الصفات التي كان يتميز بها عبد الباسط ابن خليل أنه كان شديد الاعتداد بنفسه، حتى قال عنه تلميذه "ابن إياس"[3] "أنه كان ضنينا بنفسه وعنده يبس الطباع مع شمم زائدة" .

---

[1] **المدرسة الشيخونية:** تنسب إلى شيخون ابن واقفها الأمير سيف الدين فطيشا ابن علي بن محمد، وهو من رجال حلقة دمشق ، وكان مجاورا في القدس، وقد أشرف عليها بنفسه، ثم أشرف ابنه شيخون عليها من بعده وكان الأمير سيف الدين قد وقفها في سنة 761هـ/1359م، وكانت تقع هذه المدرسة بجوار باب حطة. رائف يوسف نجم، المرجع السابق، ص17.

[2] عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم، المصدر السابق، ج02، ص ص65-66.

[3] هو أبو البركات زين الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن إياس الحنفي، الجركسي الأصل الناصري القاهري. ولد في القاهرة سنة 802هـ/1448م بعد سنة 928هـ/1522م مؤخر عصر الإنهيار المملوكي و السنوات الأولى من الحكم العثماني. أرخ لهذا العصر وتاريخ مصر. أهم مؤلفاته بدائع الزهور في وقائع الدهور، عقود الجمان في وقائع الأزمان، نزهة الأمم في العجائب والحكم. حسين عاصي، **ابن إياس مؤرخ الفتح العثماني لمصر**، ط1، دار الكتب العلمية-بيروت-، 1413هـ/1993م، ص ص 38-39

شهد له "السخاوي"[1] بتوفقه وبمقدرته العلمية. فقال" إنه برع في كثير من الفنون وشارك في الفضائل، وألف ونظم ونشر، وأقبل على التاريخ واستمد منه منى كثيرا".[2]

2- نكساته الصحية وتأثيرها عليه:

تعرض عبد الباسط في الثلاثينيات من عمره لأزمة نفسية عميقة تركت بصمتها على شخصيته وعلى حياته العلمية، من بينها الظروف والتجارب القاسية أثناء رحلته في المغرب والأندلس فتأثره بمن لقيتهم من العلماء وكبار المتصوفين قد عمق في نفسه الميلان إلى التصوف[3] .

مع القرن التاسع الهجري أصبحت الزاوية تعني طريقة صوفية معينة لها شيخ تنسب إليه ولها أذكار وأوراد خاصة بها".[4] ففي تلك المرحلة كانت ظاهرة التصوف منتشرة بشكل واسع واتضح ذلك بكثرة "الزوايا والتي كانت تعتبر كملجأ للمحتاجين وعابري السبيل وما لبثت أن أصبحت مقصدا للعكوف والقيام بالعبادات فيها"[5].

---

[1] محمد بن عبد الرحمن السخاوي ولد بالقاهرة عام 831هـ/1427م. فقيه، محدث، مؤرخ مشارك في علوم الفرائض والحساب والتفسير وأصول الفقه. توفي بالمدينة المنورة عام 902هـ/1497م. من تصانيفه الكثيرة: الأصل الأصيل، القناعة فيما تحسن إليه الحاجة من إشراط الساعة، المقاصد الحسنة، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، المنهل البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع .محمد أحمد درنيقة، **كتاب معجم أعلام شعراء المدح النبوي**، تق: ياسين الأيوبي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2003م ، ص 362.

[2] عبد الباسط بن خليل، المصدر السابق، ص65.

[3] عبد الباسط بن خليل، المصدر نفسه، ص63

[4] عبيد بوداود ، **ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط مابين القرنين السابع والتاسع الهجريين**، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2003م، ص82.

[5] ابن مرزوق التلمساني محمد، **المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**،تح: ماريا خيسوس بيفيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص- ص: 411-413.

وقد شاهدت ظاهرة التصوف انتشارا واسعا في القرن التاسع هجري بين العلماء والفقهاء، فقد قامت حرب جدلية بين الصوفيين بقيادة قاضي قضائها "قاسم العقباني"[1] وبين التيار السلفي بقيادة محمد بن مرزوق الحفيد، واستمرت قائمة حتى عهد " محمد بن يوسف السنوسي "[2] صاحب كتاب نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن والذي ألفه للرد على التيار السلفي.

فكما جاء على حد قول الباحث عبد الحميد حاجيات: "من الملاحظ أن ضعف السلطة السياسية بمنطقة المغرب كان لها تأثير سلبي في انتشار الطرق الصوفية انتشارا واسعا ما لعب دورا في جعلها تتدخل وبدرجة الأولى في الشؤون السياسية"[3].

يشير عبد الباسط أنه التقى أثناء التحضير لرحلته إلى المغرب "العبد الصالح سيدي محمد المصمودي وهو في طريقه إلى الحج، فصحبه أثناء سفره إلى الصعيد في رجب 866هـ واستأنس به واستفاد من فوائده. ولما ذهب إلى المغرب التقى في تونس بابن القصار وسمع منه قصيدة "ابن التازي"[4] في التصوف وأخذ عنه ما يصاحبها من الأدعية والأوراد وقراءة القرآن "[5].

---

[1] أبو الفضل شيخ الإسلام ومفتي الأنام، وصل درجة الاجتهاد ولي خطة القضاء بتلمسان، أخذ عن لمصر عن ابن حجر وأجازه، وأخذ عن ابن العباس والونشريسي والقلصادي، توفي بتلمسان عن سن عالية سنة 854هـ-1450م. ابن مريم، المصدر السابق، ص147-149.

[2] محمد بن يوسف، أبو عبد الله: من العلماء الكبار جمع بين العلم والعبادة تخصص في علوم كثيرة، كالفقه والحديث والعقيدة، أخذ العلم عن جماعة من العلماء منهم: نصر الزواوي ومحمد بن صعد، توفي بتلمسان سنة895هـ-1489م.انظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص247-248. التنبكتي، المصدر السابق، ص- ص563-570.

[3] ABDELHAMID HADJIAT-Rôle du sufisme dans l'évolution du peuple du maghreb actes 2eme congre international d'études des cultures du méditerranée occidentale.II.P442

[4] أبو سالم ابراهيم بن محمد بن علي التازي(866هـ/1462م) متصوف وشاعر عربي مغاربي من أهل القرن الخامس عشر الميلادي/التاسع الهجري، اشتهر بالتازي لولادته بتازة الدولة المرينية وهو من بني لنت الأمازيغية، رحل إلى المشرق في حدود 1426م،ثم عاد لوطنه وسكن وهران، برز في الأدب الصوفي، وله قصائد في مدح النبي، وله عدة مؤلفات، مفقودة أو مخطوطة. عبد المنعم القاسمي الحسني(2005)، **أعلام التصوف في الجزائر: منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، ط1، بوسعادة، المسيلة، الجزائر، دار الخليل القاسمي، ص48-52.

[5] عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم، المصدر السابق، ج02، ص63

و عندما كان في "غرناطة"[1] تمكن من كشف زيف ادعاء اليهود بأنه من الأشراف." كان قد التقى بهذا اليهودي في المغرب من قبل وأزجى له بعض الخدمات ولكن اليهودي دبر لعبد الباسط جريمة كادت أن تودي بحياته، إذ هجم عليه في أحد الشوارع المزدحمة وضربه بسيف، غير أن الضربة نزلت على وجه عبد الباسط فأطاحت جزءا كبيرا من أنفه وخده الأيسر وشفته العليا والبعض من أسنانه. لقد كان لهذه الحادثة وقع سيء بحالة عبد الباسط الجسدية والنفسية. فقد جعلت منه شخصا حاقدا على الناس والحياة. كما كان يتعرض من خلال هذه الرحلة للحبس ومصادرة أملاكه وضياع أمواله. إضافة إلى كل ذلك موت أبنائه مما زاد سخطه على الحياة وعلى الناس وجعله ينغمس بطريقة عميقة في ميدان التصوف".[2]

هذه الأزمة هي السبب فيما كانت تتسم به حياة عبد الباسط الشخصية والعلمية من الحدة والخشونة، إضافة إلى إحساسه أنه يعاني من بعض العيوب الخلقية والتشوهات التي لحقت بوجهه " كان يقول ابن إياس عنه (طويلا نحيلا ذا أنف وافر جدا). مع أن التشوهات التي أصابته في الأندلس قد التأمت جراحها الخارجية إلا أنها خلقت آثارا عميقة في مظهره الخارجي وفي نفسيته. من ثم كان يبتعد عن الناس مع خشونة في الطبع وتكبر واستعلاء ومحاولة تغطية هذا القبح المظهري بالتفوق العلمي والنبوغ فيه"[3].

---

[1] **غرناطة:** بفتح أوله وسكون ثانية ثم نون وبعد الألف طاء مهملة وهي أقدم مدن طورة البيرة من أعمال الأندلس، وأعظمها وأحسنها وأحضنها، ياقوت الحموي، المصدر السابق ، ص195.

[2] **التصوف:** من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، أصلها العكوف على العبادة و الانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، ابن خلدون عبد الرحمان ، **مقدمة ابن خلدون**، تح: مجدي فتحي السيد، دار التوفيقية التراث، مصر، ص513.

3 عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم، المصدر السابق، ج02، ص63

عندما رجع إلى القاهرة وهو في هذه الحالة النفسية والجسدية المضطربة وجه بصدمة أشد قسوة، إذ وجد أباه قد أبعد عن القاهرة وأنه يقضي أيامه منفيا. ما لبث أن توالت عليه النكبات "سنة 873هـ مات والده بطرابلس دون أن يراه "[1]. فقد ابنته في طاعون تلك السنة وتوفي مملوكه مبارك الذي كان يركن إليه ويأنس إليه ومن كل هذه الأحداث الصعبة المتتالية ضاقت عليه الحياة وثقلت عليه الأحزان وأحس بالوحدة، فقرر الإلتحاق "بالخانقات الشيخونية"[2] ليجد ملجأ للإنخراط في سلك الصوفية. وأقبل على الأوراد والأذكار، وبلغت ثورته النفسية مداها، فامتدت يده إلى مؤلفاته التاريخية والأدبية وأتلف كثيرا منها[3].

3- شيوخه:

تعلم عبد الباسط على يد الكثير من المشايخ، نذكر منهم علماء المغرب فقد كان العلم هناك في أوجه ما جعله يذهب لتلمسان للتعلم في مدارسها وعلى يد شيوخها، وقد كانت طرق التعليم والتلقين في تلمسان مراعية جدا لمدى قوة وإدراك الطلبة في ذلك الوقت، فقد أعطيت لهم المعلومات متفرقة وبدرجات من " الأدنى إلى الأعلى"[4].

---

[1] نفسه، ج02، ص64.

[2] **الخانقات الشيخونية:** التي تعتبر واحدة من أنظم الخانقاوات التي أنشأت بالقاهرة في العصر المملوكي من حيث سعة وقفها، وجمال عمارتها، وقد كانت الشيخونية مركز إشعاع ثقافي، وقبلة لأهل العلوم الشرعية من علماء، وطلبة من كافة الأقطار الإسلامية الى جانب أنها مقاما للصوفية ومأوى للوافدين من الغرباء على مصر، أنشأها الأمير الكبير شيخو العمري الناصري(ت 758هـ/1357م) كان من كتابية الملك الناصر، سنة 756هـ/1355م، المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي ت 845هـ/1442م، **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، ط2، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987، ص420.

[3] عبد الباسط بن خليل ،الروض الباسم، المصدر السابق،ج02، ص63.

4 محمد رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، طبعة1995م، ص404

تمثلت المرحلة الأولى من التعليم بتعليم القراءة والكتابة والتركيز على حفظهم للقرآن الكريم بإدخالهم للمساجد، لترتفع بعدها درجة التعليم إلى التركيز على تلقينهم مفاتيح الدين الإسلامي، وتعليمهم أساليب البلاغة والصرف، " ينتقل بعدها تلاميذهم إلى مستوى ثقافي لائق. لينتقلوا بعدها إلى مستوى أكثر تعقيدا يرتكز على علوم الدين والدنيا"[1].

فيما يخص المدارس فقد كان يوجد خمس مدارس قديمة تم بناؤها في القرن الثامن، الأولى التي أمر بها "السلطان أبو حمو موسى الأول"[2]، الثانية هي "المدرسة التاشفينية"[3]، الثالثة المدرسة الواقعة بقرية العباد، والرابعة مدرسة سيدي الحلوي، والخامسة المدرسة "اليعقوبية"[4]. فيما شهد القرن التاسع بناء وتدشين مدرسة جديدة هي مدرسة سيدي الحسن بن مخلوف الراشدي الشهير بأبركان.

[1] حاجيات عبد الحميد: **" الحياة الفكرية في عهد بني زيان"**، مجلة الأصالة، العدد26، 1975م، ص138.

[2] فترة حكمه من (707هـ-1307م/718هـ-1318م)، شهدت دولته الاستقرار والأمن بعد حصار طويل، محمد بن عبد الله التنسي، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تح: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، 2011م، ص- ص: 131-139.

[3] كانت من إنشاء أبي تاشفين الأول (718هـ-1316م/737هـ-1365م)، فكانت تحفة فنية رائعة بتلمسان . عين للتدريس بها الأخوين الفقيهان أبو زيد عبد الرحمن وأبو عيسى.

William marcais et georges marcais, Les monument arabes de Tlemcen ancienne-librairie thorin et B.fils, Paris, P21.

[4] أسسها السلطان أبو حمو موسى الثاني (760هـ -791هـ) وقد بنى السلطان هذه المدرسة تمجيدا وتخليدا لأبيه السلطان أبي يعقوب. وقد بنى السلطان هذه المدرسة تمجيدا و تخليدا لأبيه السلطان أبي يعقوب. وقد بنى السلطان أبو حمو الثاني هذه المدرسة للشيخ أبي عبد الله الشريف التلمساني، وذلك سنة 763هـ/1362م، وجعل في بعض جوانبها مدفن أبيه وعمه، وأقام الشريف يدرس العلم إلى أن هلك سنة 771هـ/1370م. علي شعوة:" المنشآت العمرانية للدولة الزيانية"، **مجلة قبس للدراسات الإنسانية و الإجتماعية**، مجلد 01، ع 02، ديسمبر 2017، ص-ص40-56.

وقد عرف أيضا القرن التاسع الهجري نزوحا لعلماء الأندلس باتجاه المغرب الأوسط بسبب تغلب الاسبان على المسلم بنفي الأندلسيين والاشتداد في ملاحقتهم وطردهم والتي عادت على المنطقة بالفائدة، حيث زاد الحركة العلمية ثروة كبيرة خاصة أن هؤلاء الآخرين وجدوا حفاوة واستقبالا حارا من طرف الحكام[1].

ومن العلماء الذين تتلمذ عندهم عبد الباسط نذكر منهم: "عبد الرحمن الثعالبي"[2] أبو القاسم محمد المشدالي، و"محمد بن علي فشوش"[3] وابن الأشقر الأندلسي.

وبعد وفاة أبيه عاد الرحالة إلى مسقط رأسه وأخذ يجلس في مجالس العلماء ويأخذ منهم كأمثال "العلامة العلاء البخاري"[4]، "السعد بن الديري"[5]، "الزين التفهني"[6]، السراج قارىء والعلاء الروسي، والشيخ يحي السيرامي"[7].

---

[1] محمد الطالبي: "الهجرة الأندلسية على إفريقيا أيام الحفصيين"، **الأصالة**، العدد26، 1975م، ص- ص 46-78.

[2] الثعالبي (786-875هـ/1384-1470م): هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد الثعالبي صوفي من كبار المفسرين وأعيان الجزائر وعلمائها. ولد ونشأ بناحية وادي يسر بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر. وتعلم في بجاية وتونس ومصر ودخل تركيا ثم حج وعاد إلى تونس سنة 819هـ ومنها إلى الجزائر.ولي القضاء على غير رضى منه ثم خلع نفسه.له أكثر من تسعين كتابا منها: الجواهر الحسان في تفسير القرآن روضة الأنوار ونزهة الأخيار، رياض الصالحين ، قطب العارفين . عادل نويهض، المصدر السابق، ج1، ص ص 90-91.

[3] طبيب ومدرس للطب، ولد بتلمسان واستقر بها. عاش في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر ميلادي، يقول الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل (844-950هـ)، الذي درس عنده، وأجير في ذلك: "ولقينا بها-تلمسان-جماعة آخر من الفضلاء والأدباء والأطباء، منهم، سيدي علي بن فشوش أحد أطباء تلمسان في المزاولة والدرية، وسمعت من فوائدهم ، وحضرت دروس بعضهم، ونقلت عنهم أشياءهم، وأجازوني. عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم، المصدر السابق، ص42

[4] هو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن السيد البخاري، مات سنة841هـ. ينظر: السخاوي، المصدر السابق ، ص291-294.

[5] هو ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن سعد القاضي الديري، المقدسي، الحنفي، توفي سنة 876هـ. نفسه، ص ص 150-151.

[6] هو عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن علي بن هاشم التفهني، القاهري، الحنفي، مات سنة 835هـ. نفسه، ص-ص 98-100

[7] السيرامي أو الصيرامي، يحي بن يوسف بن محمد بن عيسى، مات سنة 833هـ. نفسه ، ص ص 266-267

وأيضا نذكر "الكمال بن الهمام"[1]،"الشيخ العلامة الكافيجي"[2]، من مشايخه: "الأمين الأقصرائي"[3]، والتقني الشمني"[4]، ولازمه بآخر مدة وأخذ بدمشق عن جماعة منهم القوام قاضي القضاة "الحنفي"[5].

ومنهم أيضا: "البدر العيني"[6]، و"الشمس القاياتي"[7]، و"الشمس البساطي"[8]، و"الشمس الونائي"[9]، و"المجد بن نصر الله"[10]، و"العز عبد السلام البغدادي"[11]، وجماعة يطول شرحهم وتعدادهم من غالب بلاد الإسلام شرقا وغربا مابين هند وعجم وروم وغير ذلك من علماء الإسلام، ومشايخ مصر والشام ممن أخذ عنهم ".[12]

---

[1] هو محمد بن عبد الواجد بن حميد بن مسعود السيواسي الأصل القاهري، الحنفي، مات سنة 861هـ.
ينظر : السخاوي ، المصدر السابق ، ص-ص 127-132.

[2] هو محمد بن سليمان بن سعيد بن مسعود المحيوي أبو عبد الله الرومي، الحنفي، ويعرف بالكافيجي، مات سنة 789هـ. نفسه، ص- ص259-261

[3] هو يحيى بن محمد بن ابراهيم بن أحمد الأقصرائي، مات سنة 880هـ.
نفسه، ص- ص240 -243.

[4] هو أحمد بن محمد بن محمد بن حسن بن علي بن يحي بن محمد بن خلف الله بن خليفة التميمي، الداري، القسنطيني الأصل، السكندري، القاهري، مات سنة 872هـ. نفسه ، ص-ص 174 -178.

[5] هو محمد بن محمد بن محمد بن قوام الرومي الأصل، الدمشقي، الحنفي، ويعرف بلقبه قوام الدين، مات سنة 858هـ.
نفسه ص266.

[6] هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود الحلبي الأصل، العينتابي، القاهري، الحنفي، المؤرخ، مات سنة 855هـ. نفسه، ص-ص131-135.

[7] هو محمد بن علي بن محمد بن يعقوب بن محمد القاياتي، القاهري، الشافعي، مات سنة 850هـ.
نفسه ص-ص212-214.

[8] هو محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم بن مقدم بن محمد بن حسين بن غانم بن محمد بن عليم اليساطي، القاهري، المالكي، مات سنة 842هـ. نفسه، ص-ص 5-8.

[9] هو محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن محمد بن أبي بكر الونائي، المصري، الخانكي، الشافعي، مات سنة 890هـ.

[10] هو أحمد بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر بن أحمد التستري الأصل، البغدادي، القاهري، الحنبلي، مات سنة 844هـ. انظر: الضوء اللامع، رقم 656، ص233-235.

[11] هو عبد السلام بن أحمد بن عبد المنعم بن أجمد بن محمد بن كيدوم بن عمر بن أبي الخير سعيد القيلوي، البغدادي، القاهري، الحنبلي، الحنفي، مات سنة 859هـ. انظر: الضوء اللامع، رقم 512، ص198-203.

[12] عبد الباسط بن خليل ، نيل الأمل في ذيل الدول، المصدر السابق، ص10-11.

4- مؤلفاته:

المحزن في الأمر – كما قلنا سابقا– أنه أتلف مؤلفاته بسبب وعكته الصحية والنفسية والسبب الثاني والذي جعل إيجاد مؤلفاته صعبا جدا على المؤرخين والباحثين أنه لم يدون رحلاته في جزء واحد بل فرقها إلى أجزاء في كتابه الروض الباسم"[1]، فهو التاريخ الكبير للمؤلف" فقد قام المستشرق ليفي ديلا فيد levi della vida، بنشر المقتطفات الخاصة بالأندلس مع ترجمته وتعليقات في مجلس الأندلس سنة 1933، وأعلن عزمه على نشر الجزء الخاص بطرابلس. بينما قام الأستاذ برنشويج Brunschwing، بنشر الأجزاء الخاصة بتونس والجزائر ومراكش ومعها الترجمة الفرنسية".[2]

تبدأ حوادث جزء الكتاب الأول سنة 844هـ، أما الجزء الثاني فيحتوي على حوادث سنة 865 إلى 868هـ وهو ما استطعنا استخراجه والاطلاع عليه أما عن بقية تكملتها في الجزء الثالث،" قد فقد من الكتاب بداية سنة 851 حتى آخر سنة 864، أي 14 سنة بالكامل"[3]. ويتحدث الجزء الثالث عن رحلاته من 868 إلى 872هـ، وأكمل بقية حوادثها في الجزء الرابع حيث تناول أحداث سنة 870 حتى 874هـ." يوجد للكتاب نسخة مخطوطة في مكتبة الفاتيكان بإيطاليا"[4].

[1] السخاوي ، المصدر السابق، ج04، ص27 .

[2] زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص124 .

[3] عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، المصدر السابق، ج02، ص74

[4] خير الدين الزركلي، المرجع السابق ، ص50

ولديه أيضا كتب أخرى منها كتاب "نيل الأمل في ذيل الدول وكان من المؤلفات التي ساعدته ولعبت دورا في جعله ذيلا لتاريخ الذهبي منذ سنة 744الى 896هـ، "في هذا الكتاب نجد إجابة على أحد المصادر الأساسية لابن إياس، ففيه نقل حرفي عن كل المادة التي جمعها عبد الباسط بن خليل الملطي في الكتاب وفيه أكثر من 150 عاما من الحوادث والوفيات بدءا من سنة 744هـ...أن يكون المصدر الأساس للفترة التي يؤرّخ لها بعد "المقريزي"، و"ابن حجر"، و"بدر الدين العيني"، و"ابن ثغري بردي"، و"السخاوي". وأن يكون حلقة وصل بينهم وبين: ابن سباط، وابن الحمصي، ابن العماد الحنبليّ وغيره. وهو مصدر أساس لكثير من الأحداث في بلاد المغرب والأندلس التي عاصرها وشاهدها بنفسه، وهو يتميّز عن ابن إياس بأنه تنقل بين مصر والشام وآسية الصغرى والمغرب والأندلس، فيما بقي ابن إياس مقيما في القاهرة ولم يرحل عنها إلاّ لأداء فريضة الحج"[1].

نجد أيضا من مؤلفاته كتاب غاية السؤال في سيرة الرسول، يقول فيه في مقدمته "هذه رسالة شريفة وتحفة منيفة تشتمل على نبذة مختصرة من سيرة محمد سيد الأولين والآخرين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، سميتها بغاية السؤال في سيرة الرسول جمعتها على طريقة الاختصار نزهة لذوي الألباب والأبصار ".[2]

[1] عبد الباسط بن خليل، نيل الأمل في ذيل الدول، المصدر السابق، ص 4.

[2] عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي، **غاية السؤال في سيرة الرسول**، تح محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، ج1، سنه 1408هـ-1988م، ص 1.

من بين مؤلفاته نعدد أيضا:

1- الأذكار المهمات في المواضع والأوقات.

2- تاريخ الأنبياء الأكابر ما بين أولى عزم منهم.

3- الحكمة في كون خمس صلوات مخصومة بهذه الأمة.

4- رسالة في بيان طبيعة الأفيون في الطب.

5- الروضة المربعة في سيرة الخلفاء الأربعة.

6- الزهر المقطوف في مخارج الحروف.

7- شرح قانون الجغميني في الطب.[1]

8- القول الجزم في تاريخ الأنبياء أولي العزم.

9- القول المأنوس في شرح القاموس للفيروز أبادي

10- القول المشهود في ترجيح تسهد ابن مسعود

11- القول الخاص في تفسير سورة الإخلاص.

12- كتاب الوصلة في مسألة القبلة.

13- مجموع البستان النوري لحضرة مولانا السلطان الغوري.

14- المنفعة في سر كون الوضوء مخصوصا بالأعضاء الأربعة.

15- نزهة الألباب في مختصر عجب العجاب.

16- نزهة الأساطين في من ولي مصر من السلاطين.

17- النفحات الفاتحة في تفسير الفاتحة.

18- إجابة السائلين في شرح عمدة الطالبين.

19- المجتمع المفنن بالمعجم المعنون في التراجم [2] .

[1] خير الدين الزركلي، المرجع السابق،ج03 ، ص270.

[2] نفسه ، ص270.

يعتبر عبد الباسط بن خليل من الرحالة المؤرخين العرب الذين جابوا أقطار العالم الإسلامي وعلى وجه الخصوص بلاد المغرب الأوسط. حيث قام برحلة طويلة بغرض التجارة وطلب العلم أتاحت له فرصة اللقاء بالعلماء والشيوخ والمدرسين، فحضر مجالسهم وأخذ عنهم واكتسب علوما مختلفة من لغة وفقه، حديث وتفسير ومنطق، تاريخ وطب. تأثر بأبيه في التاريخ، وألف في ذلك وصنف وأرخ ونظم الشعر، وبذلك أصبحت له مكانة اجتماعية مرموقة واشتهر وكثر تلاميذه.

الفصل الثاني :

واقع المغرب الأوسط من خلال رحلة عبد الباسط بن خليل

الفـصــل الثاني: واقع المغرب الأوسط من خلال رحلة عبد الباسط بن خليل

أولا: مسار رحلة عبد الباسط إلى المغرب الأوسط.

1. دخوله مدينة قسنطينة
2. دخوله إلى بجاية ثم مدينة الجزائر
3. دخوله مدينة تلمسان
4. دخوله مدينة وهران
5. طريق العودة من وهران إلى تلمسان
6. زيارة الصخرة بساحل وهران شهر محرم سنة 870هـ

ثانيا: واقع المغرب الأوسط من خلال رحلة عبد الباسط بن خليل:

1. الأوضاع السياسية
2. الأوضاع الاجتماعية
3. الأوضاع الإقتصادية
4. الأوضاع الثقافية

لما بلغ عبد الباسط الثانية والعشرين تقريبا من عمره شرع في رحلة علمية وتجارية إلى بلاد المغرب. بدأت هذه الرحلة من منتصف شهر ربيع الأول سنة 866هـ. فأما مسار هذه الرحلة كان على النحو التالي: "رحل إلى صعيد مصر ثم انتقل إلى الإسكندرية ومنها إلى مدينة تونس ثم جزيرة جربة وطرابلس الغرب، وقابس والقيروان وعاد إلى تونس ومنها إلى تلمسان وباجة وقسنطينة وبجاية والجزائر ومازونة وقلعة هوارة والبطحاء وتلمسان للمرة الثانية ووهران، ثم عاد إلى تلمسان ثالث مرة ومنها إلى مالقا، ويكش والجاما وغرناطة، ومنها عاد إلى مالقا ووهران وبجابة وتونس وطرابلس الغرب، ومصراته وبرقة والإسكندرية والقاهرة، وبها استقر إلى أن توفي بها"[1]. وقد أمضى أطول أوقات رحلته في ثلاث مدن هي وهران (21 شهر)، تونس 15 شهرا ثم طرابلس الغرب 12 شهرا.

أولا: مسار رحلة عبد الباسط إلى المغرب الأوسط

1- دخوله مدينة قسنطينة:

خرج عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي صحبة الركب المتوجه إلى تلمسان صحبة محمد بن أبي إبراهيم الفيلالي العابد الصالح، ودخلوا باجة وبلد العناب. وفي أثناء سفرهم شاهدوا أشياء يطول شرحها.

وقبل وصوله إلى مقصده وتحديدا في "18 ذي القعدة دخل "قسنطينة"[2] "[1]، فانبهر لما شاهده فيها وأقام بها ثلاثة أيام فقد ظهر ذلك في قوله: " فرأيت مدينة عجيبة

[1] عبد الباسط بن خليل، نيل الأمل في ذيل الأمم، المصدر السابق، ج01، ص35

[2] هي مدينة أولية كبيرة آهلة بالسكان ذات حصانه ومنعة لا يعرف أحصن منها. ينظر: البكري، المصدر السابق، ص66.

الموضوع حسنة المجموع على جبل عال وتحتها واد عظيم كثير الخصب والأجنة والبساتين ذات الأشجار ذوي الثمار المتنوعة وبها العم والخيرات والرخاء الغالب وأعجبتني إلى الغاية ورأيت أبنيتها وهي جيدة فائقة، وأقمنا بها ثلاثة أيام ".[2]

2- دخوله بجاية ثم مدينة الجزائر:

توجه عبد الباسط إلى "بجاية"[3] في ذي القعدة 868هـ/1467م، اجتمع مع شيخها أبي عبد القاسم محمد المشدالي وأخذ عنه الكثير وفي ذلك يقول: " وفيه دخلنا مدينة بجاية، وبادرت بالاجتماع بشيخها الإمام العالم العلامة سيدي أبي القاسم المشدالي والد الشيخ أبي الفضل المغربي وسمعت الكثير من فوائده"، وقد سأله عن وفاة ولده "وسألني عن وفاة ولده وكنت قد بلغني ذلك قبل سفرنا من القاهرة فذكرت له ذلك وكثر أسفه عليه مع ما كان قبل ذلك".[4]

---

[1] عبد الباسط بن خليل ، نيل الأمل في ذيل الدول، المصدر السابق، ص9.

[2] عبد الباسط بن خليل، رحلة عبد الباسط، نشر وترجمة إلى الفرنسية، روبرت برونشفيك في كتاب:

Deux récits de voyage inédits en afrique du Nord au XV, siécle ABDALABA Sit B.HALILET ADORNE, LAROSE éditeurs, Paris, 1936, p40.

[3] **بجاية:** هي مدينة بالقطر الجزائري على شاطئ البحر، كانت في القديم تدعى سلديا أو سلداي، وموقع بجاية كان قرية نسكنها قبيلة بربرية تسمى بجاية أو بقاية(بقاف معقونة) فأطلق هذا الاسم على المدينة وسميت به، وأول من احتطها "الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين" في حدود سنة 407هـ، انظر: ياقوت الحموي،المصدر السابق،ج1/ص339. أنظر كذلك الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس مكتبة لبنان، بيروت1984م، ص81

[4] عبد الباسط بن خليل، المصدر السابق، ص40

ثم دخل مدينة الجزائر وتبرك بالشيخ الولي عبد الرحمان الثعالبي في قوله: " فدخلنا الجزائر، وتبركت بسيدنا الشيخ الولي العالم العلامة الشهير سيدي عبد الرحمان الثعالبي، وسمعنا شيئا من فوائده وسألته بعض الأسئلة كانت تشكل علي فأفادنا على أحسن وجه، ورأيت تفسيره، وقرأت عليه من أوائله بعض السطور وأجابني رحمه الله تعالى".[1]

3- دخوله مدينة تلمسان:

قصد تلمسان ومر في طريقه إليها على مدينة مازونة وقلعة هوارة والبطحاء ودخل تلمسان في أواخر ذي القعدة 868هـ/1468م. صادف وصوله إليها مناسبة عيد النحر أو عيد الأضحى،" في اليوم الحادي عشر من ذي الحجة كان عيد النحر بتلمسان فخرجنا للمصلى وحضر "محمد بن أبي ثابت"[2] صاحب تلمسان صلاة العيد في هذا اليوم".[3] يوم "الجمعة الخامس من محرم قصد عبد الباسط العباد بظاهر تلمسان"[4] والدليل على هذا نجده في قوله: " في يوم الجمعة خامسه خرجت من تلمسان قاصدا ربض تلمسان الذي يقال له العباد ونسبته لتلمسان كنسبة صاحبه دمشق لها، وبه قام الشيخ

[1] نفسه، ص41.

[2] هو أبو عبد الله المتوكل الزياني، تولى حكمه سنة 866هـ حتى 873هـ. انظر: التنسي، المصدر السابق، ص255.

[3] عبد الباسط بن خليل، المصدر السابق، ص41.

[4] عبد الباسط بن خليل ، نيل الأمل في ذيل الدول، المصدرالسابق، ص31.

"أبو مدين شعيب الاشبيلي"[1] القطب الولي العارف نفعنا الله ببركاته فزرته".[2]

والتقى بالشيخ "أبي عبد الله محمد بن العباس"[3] الذي حضر دروسه وانتفع بها وقال فيه: " ثم اجتمعت بسيدنا وشيخنا الإمام العالم العلامة أبي عبد الله محمد بن عباس شيخ تلمسان وعالمها وخطيب جامع العباد تغمده الله برحمته فوجدته بحرا في الفنون العلمية فأنس في ثم سمعت خطبته التي شغف بها الأسماع وموعظته التي بها الإنتفاع، وترددت إليه بعد ذلك وحضرت كثيرا من دروسه الحافلة في الكثير من الفنون العلمية واستفدت من فوائده في مدة ستة أشهر وكان أجل علماء تلمسان في عهده ذلك، وله من السن نحو 80 سنة أو جاوزها، مع تمتعه بحواسه وسلامة بدنه".[4]

4- دخوله مدينة وهران:

في ربيع الثاني سنة 869هـ/ الرابع والعشرين ديسمبر 1464م، اتجه عبد الباسط نحو مدينة وهران ووصلها بعد ثلاثة أيام وأقام بالقرب من زاوية الشيخ إبراهيم التازي، وتحدث عنها في كتابه قائلا:" في يوم الاثنين خرجت من تلمسان وقصدت وهران فدخلتها في سابع عشرينيه آخر النهار ثم نزلت بها بمكان بالقرب من زاوية سيدي إبراهيم التازي.

---

[1] هو أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي(520-594هـ) شيخ المشايخ، من أعلم العلماء وحفظ الحديث، وشيخ أهل المغرب في التصوف، اشتهر ببجاية وكثر تلاميذه وأقبل الناس عليه التماسا لعلمه وإقتداء بطريقته، توفي في العباد ودفن بها. انظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص 108. انظر كذلك: ابن زيات التادلي، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تح: احمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط02، 1997م، ص 319.

[2] عبد الباسط بن خليل، المصدرالسابق ، ص 42.

[3] هو محمد العباس بن محمد بن عيسى العبادي، أخذ عنه ابن مرزوق الحفيد وأبي الفضل العقباني وأخذ عنه الحافظ التنسي وابن مرزوق الكفيف وسنوسي وابن زكري. توفي سنة 871هـ/1469م. ابن مريم، المصدر السابق، ص223.

[4] عبد الباسط بن خليل، المصدر السابق، ص ص43 -44.

ثم اجتمعت بها على شيخها الشيخ الإمام العالم الكامل سيدي أبي العباس أحمد بن العباس المالكي مفتي واهران وعلى الشيخ سليمان الحميدي وهما من كبار أهل العلم والفضل بهذه البلدة فاستفدت منهما وحضرت الكثير من دروسهما".[1]

5- طريق العودة من وهران إلى تلمسان:

توجه عبد الباسط من وهران قاصدا تلمسان فدخلها في "17 من شهر رمضان 869هـ-1464م، ونزل عند عبد الرحمن بن النجار صاحب الأشغال بها، وهو مدبر المملكة لسلطانها ابن أبي ثابت، فأنس به هو والده "عبد الله"[2] (الأكبر)، وعبد الواحد (الأصغر)، وسأله أن يشده شيئا من نظمه في مدح صاحب تلمسان، فنظم قصيدة في نحو أربعين بيتا وكتب بها إليه. فلقيت صدى طيبا عنده، فدعاه إليه ورفع من محله وشكره عليها وكتب له ظهيرا بمسامحته في كل ما يتصرف به من أنواع المتجر، ثم عزم عبد الباسط عند عودته إلى تلمسان أن يتوجه إلى فاس ويراها، فصادف أنها كانت تشهد فتنا وخطوبا نتيجة ذبح عبد الحق المريني فعاد إلى واهران بعد أن تسوق من تلمسان شيئا... في الأندلس، إذ قرر اجتياز بر العدوة إليها ".[3]

[1] عبد الباسط بن خليل، المصدر السابق، ص ص44-45.

[2] كان عبد الله نائبا عن والده ومن الكتبة وأما عبد الواحد فكان في هيئة الجند ويركب وينزل مع السلطان. ولم يكن بعبد الرحمان هذا بأس بالنسبة لغيره، فإنه كان سيوسا عاقلا. وكذا ولده عبد الله مع ميله لطلب العلم ومحبة الفضل والفضيلة وأهل العلم. ينظر: عبد الباسط بن خليل، المصدر السابق، ص47

[3] عبد الباسط بن خليل، نيل الأمل في ذيل الدول، المصدر السابق، ص ص32-33.

6- زيارة الصخرة بساحل وهران شهر محرم سنة 870هـ:

في شهر محرم زار الرحالة عبد الباسط ساحل وهران، وقد شاهد هناك الصخرة التي زعم أنها هي نفس الصخرة التي ذكرت في القرآن الكريم في سورة الكهف وقد روى عنها في كتابه قائلا: "وفيه أعني هذا الشهر زرنا الصخرة التي بساحل وهران التي أشيع بأنها المرادة في قوله تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾[1]، حكاية عن فتى موسى بن عمران".[2]

ثانيا: واقع المغرب الأوسط من خلال رحلة عبد الباسط بن خليل

1- الأوضاع السياسية:

أثناء رحلة عبد الباسط بن خليل تناول الأوضاع السياسية التي سادت المغرب الأوسط، والتي كان شاهدا عليها وطرفا فاعلا فيها، حيث قدم لنا صورة بليغة لأهم المعالم التي عرفها المغرب الأوسط خلال فترة حكم السلطان "أبي العباس أحمد أبو حمو موسى ابن الواحد الوادي"[3] (866هـ/1462م) الذي اعتلى العرش سنة (834هـ /1431م) بمآزرة بني حفص بعد خلعهم السلطان محمد بن أبي تاشفين الواحد، فصك النقود وسهر على مصالحة رعيته، فأحبه الناس ثم نقض الدعوة لبني حفص سنة (837هـ/ 1433م).

---

[1] سورة الكهف، الآية 63

[2] عبد الباسط بن خليل، المصدر السابق، ص57

[3] أبو العباس أحمد العاقل (866هـ/1462م) :هو أبو العباس أحمد المعتصم بالله بنو أبي حمو موسى الثاني بن يوسف بن عبد الرحمان بن يحي بن يغمراسن بن زيان أبو عباس المشهور بالعاقل ، الملك 19 من ملوك الدولة الزيانية (العبد الوادية) بتلمسان .حكم لأكثر من ثلاثين سنة (1431-1462 م).عادل النويهض، المرجع السابق، ص 213.

فقد كان شيخا مسنا ذا عدل وسياسة يذكر بالخير وحسن السيرة. ملك تلمسان مدة. ثار عليه أخوه أبو يحي واحتل وهران سنة 840هـ، ثم ثار عليه أبو زيان محمد المستعين بالله بمآزرة بني حفص. احتل سنة 842 هـ مدن الجزائر وملیانة وتنس وغيرها. استقر بالجزائر، ومات في نفس السنة. وفي سنة 851هـ تحرك العاقل إلى وهران ففتحها وفر منها أبو يحيى إلى تونس، ثم ثار عليه الأمير محمد بن أبي ثابت وعزله[1].

فذهب العاقل إلى الأندلس وقد أنجده صاحب غرناطة المستعين بالله، ثم عاد بجيش وحاصر تلمسان مدة أسبوعين، فلم ينجح باحتلالها، وتوفي بعد ذلك بقليل بالعباد واتهم في موته بأنه سُم بدسيسة من محمد بن أبي ثابت الذي استقل بالملك. لكن ظهرت بينه وبين صاحب تونس وحشة وظهرت بينه وبين سعد المستعين بالله صاحب غرناطة أيضا وحشة [2].

فقد جاء في الرحلة أن العلاقة السياسية والإدارية بين صاحب تونس المتوكل على الله عثمان الحفصي، وبين صاحب تلمسان محمد بن أبي ثابت سادها نوع من التوتر والإضطراب، ويرجع ذلك لأسباب قد ذكرها الرحالة عبد الباسط في قوله: "في شهر شوال سنة 866هـ، وفيه يوم الأربعاء ثاني عشرينه دخلنا إلى مدينة تونس بعد أن دخلنا بالبحر ثلاثة وثلاثين يوما، فرأيت مدينة حسنة، جليلة، هائلة بديعة تقرب من دمشق في جفنها،

[1] السخاوي، المصدر السابق، ص292.

[2] عبد الباسط بن خليل، نيل الأمل في ذيل الأمم، المصدر السابق، ج02، ص 128.

ونزلت بدار بها بمكان يسمى فندق الرماد، ووجدنا صاحب تونس وسلطانها المتوكل على الله عثمان خارجا عنها، آخذا في التوجه لجهة تلمسان لأجل إخراج صاحبها محمد بن أبي ثابت منها لكونه أخرج أحمد بن أبي حمو الماضي ذكره القائم بدولة بني حفص ملوك تونس وقطعه هو الدولة لهم أعني محمد بن أبي ثابت"[1] .

الصلح بين صاحب تونس وصاحب تلمسان:

في نفس الشهر وفي نفس السنة نزل المتوكل على الله صاحب تونس تلمسان فقام بحصارها لعدة أيام، ثم انتهى ذلك الحصار بوقوع الصلح بين الطرفين، وكان هذا الصلح على يد القطب الولي الغوث سيدي "أحمد بن الحسن التلمساني"[2]، وأقيمت الدعوة بتلمسان لعثمان الحفصي صاحب تونس وضربت السكة باسمه وخطب له بها وعاد صاحب تونس بعد مصاهرة وقعت بينه وبين صاحب تلمسان.[3] وفي هذا الصدد يقول عبد الباسط :"... وكان صاحب تونس خرج في شوال من هذه السنة ولما قرب عثمان من تلمسان أشير على صاحبها بأن يبعث عليه ويجيبه إلى ما كان سأله عليه من طاعته والقيام بدعوته، وضرب الدراهم والدينار بسكته فبعث إليه بالشيخ الولي العارف العابد الزاهد سيدي احمد ابن الحسن وعلى يده خط من صاحب تلمسان محمد المذكور ألى صاحب تونس بأنه

[1] عبد الباسط، الروض الباسم، المصدر السابق، ج02، الصفحة 42.

[2] التلمساني (ت 874هـ/1469م) : أحمد بن حسن الغماري، التلمساني، أبو العباس: صوفي، عابد، من أهل تلمسان، رحل إلى المشرق وحج مرتين. وأقام مدة بندرومة. أخذ عنه الإمام أحمد زروق. توفي بتلمسان ودفن بخلوته شرقي الجامع الأعظم. وصفه التنبكتي بالولي الكبير الشأن ذو الكرامات الظاهرة والآيات المبهرة. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر ، المصدر السابق، ص65.

[3] عبد الباسط بن خليل، نيل الأمل في ذيل الدول، المصدر السابق، ص42

عاهده على طاعته والقيام بدعوته وبعث إليه بعدة من الدراهم مضروب عليها اسمه، والتمس منه الصلح وكان قد وقع في عسكر عثمان الغلاء الكبير والقيل والقال وبعض خلف بينهم وكان هو قد عزم على العود وبقي يود مندوحا لذلك وحجة من الحجج يحتج بها على رجوعه."[1]

خبر أخذ تلمسان:

"في ذي الحجة يوم الثلاثاء ثاني عشرينه وصلت الأخبار إلى تونس من طرف سلطانها المتوكل على الله عثمان بأنه استولى على تلمسان، وجعل صاحبها محمد بن أبي ثابت نائبا عنه، وأنه في طريق العودة إلى تونس بعد تقدير الحال، فعم الفرح والسرور على سكان المدينة وشرعوا في تزيينها"[2]. وفي هذا الصدد راح الرحالة يصف تلك الأجواء في قوله: " فدقت البشائر لذلك وزينت تونس زينة هائلة غريبة عجيبة على طريقة تلك البلاد لم أرها بهذه البلاد، لم يزالوا على ذلك مدة أيام، وأظهروا من الفرح والسرور."[3] وفي أول ربيع الآخر وصلت أخبار لتونس أن صاحبها عثمان أوشك على الوصول إلى تونس فتهيأ الكثير من الأعيان والناس للقائه .[4]

[1] عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم، المصدر السابق، ص42

[2] نفسه، ص20

[3] عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم، المصدر السابق، ص20

[4] نفسه، ص22

- وعكة صاحب تونس:

وفيها وعك السلطان المتوكل على الله صاحب تونس وأرجف بموته ولازمه الإمام أبو عبيد الله الزلداوي بتونس وطبيبها "أبو زيد عبد الرحمان بن أبي سعيد الصقلي"[1] شيخنا يطبانه حتى عوفي.[2] ويقول في ذلك عبد الباسط: "...وفيها أعني هذه السنة وعك السلطان عثمان صاحب تونس عدة أيام وبلغنا الخبر ونحن بطرابلس ثم جاء من أخبر بأنه وعك عدة أيام يزيد على العشرين وبقي يرجف في تونس بموته وكثر بها القيل والقال ولازمه القاضي الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد الزلداوي قاضي الأنكحة بتونس والعالم في الطب يعالجه هو وشيخنا عبد الرحمان بن أبي سعيد الصقلي واجتهدا في علاجه غاية الإجتهاد على القانون المعتبر الطبي حتى قدر الله تعالى بعافيته وحصل له الشفاء."[3]

[1] الشيخ الفقيه النحوي اللغوي الأستاذ المدرس البارع أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي الصقلي المعروف بابن الحجري أحد المنتصبين للأستاذية و الإقراء، لقي مشائخ بافريقية منهم أبو زيد عبد الرحمان بن اسماعيل الحداد التونسي. وأخذ العلم عنه ناس ببجاية وكان رحمه الله أكثر الناس اعتدالا واقتصادا. أبو العباس الغبريني، المرجع السابق، ص 222.

[2] عبد الباسط بن خليل، نيل الأمل، المصدر السابق، ص 173

[3] عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم، المصدر السابق، ص36

في ظل هذا الوضع الذي أصاب صاحب تونس وظروفه الصحية، وصل خبر أن صاحب تلمسان محمد بن أبي ثابت قد نقض الصلح الذي كان بينهما، وفي ذلك يقول عبد الباسط: "... وفيها أشيع أيضا بنقض السلطان المتوكل على الله محمد بن أبي ثابت صاحب تلمسان ما كان قد بعث به من العهد على يد الولي العالم سيدي أحمد بن الحسن إلى صاحب تونس عثمان بالمصالحة على ما تقدم ذكره."[1]

- عزم صاحب تونس للعودة إلى تلمسان:

بعدما تماثل صاحب تونس للشفاء وسماعه بخبر نقض صاحب تلمسان للصلح الذي كان قد تقدم بينهما عزم على العودة إلى تلمسان[2]، وفي ذلك يقول عبد الباسط :"...وأشيع أن عثمان صاحب تونس آخذ في أسباب عوده إليه"[3].

- قلق صاحب تلمسان:

وفي خضم هذه الأحداث ورد الخبر إلى المتوكل على الله محمد بن أبي ثابت صاحب تلمسان بأن المتوكل على الله عثمان الحفصي صاحب تونس قادم إلى تلمسان مرة ثانية [4]، وفي ذلك قال الرحالة:"... وفي هذه الأيام ورد الخبر على صاحب تلمسان محمد بن أبي ثابت من تونس بأن صاحبها السلطان أبا عمرو عثمان في قصد تجرده إليه

[1] عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم، المصدر السابق، ص ص 36-37

[2] عبد الباسط بن خليل، نيل الأمل في ذيل الدول، المصدر السابق، ص 173

[3] عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم، المصدر السابق، ص 37

[4] عبد الباسط بن خليل، نيل الأمل في ذيل الدول، المصدر السابق، ص ص 200-201

ثانيا فحصل عنده الباعث بسبب ذلك وأخذ في أسباب تدبير أمره."[1] وفي ذلك قال عبد الباسط: "و في هذه الأيام ورد الخبر على صاحب تلمسان بن أبي ثابت من تونس بأن صاحبها السلطان عثمان في قصد تجرده إليه ثانيا فحصل عنده الباعث بسبب ذلك وأخذ في أسباب تدبر أمره "[2]

ولما كثرت الإشاعات عن قدوم صاحب تونس إلى تلمسان قرر محمد بن أبي ثابت تحصينها على حد قول عبد الباسط: "... وفي يوم الثلاثاء عشرينه استيقظ الخبر بتلمسان بتجريد عثمان صاحب تونس إليها وزاد الإرجاف بذلك بتلمسان، في أوائل ربيع الآخر لما زادت الإشاعات وكثرت الأراجيف بتلمسان بحركة صاحب تونس لجهة تلمسان أخذ صاحبها في أسباب تحصين تلمسان وأنه يتفقد السور بالبنيان وكذا يبني برجا على بابها أو نحو ذلك كا ذلك خوفا من عثمان صاحب تونس "[3].

- قدوم قاصد صاحب تونس إلى تلمسان:

في أوائل جمادى الآخرة بعث صاحب تونس المتوكل على الله عثمان مرسولا إلى جهة تلمسان ليسأل صاحب تلمسان عن سبب نقضه للصلح والإتفاق الذي جرى بينهما فأعاده صاحب تلمسان سريعا من غير جواب شاف عما جاء بسببه من سؤاله عن نقضه الصلح ، وبعد نصفه قدم إلى تلمسان صاحب تونس ومعه جماعة أخرى يطلب جوابا

[1] عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم، المصدر السابق، ص 45

[2] نفسه، ص 45

[3] نفسه، ص 46

شاف عن نقضه ما كان اتفق الحال عليه وعرفه في مكاتبة بأنه ماش عليه وقاصد بعساكره عن قريب[1] .

- **رسول صاحب تلمسان إلى صاحب تونس:**

"وفي أوائل ذي القعدة خرج قاصد صاحب تونس من تلمسان عائدا لمرسله وأعقبه صاحب بعد أيام يبعث القاضي محمد بن العقباني قاضي الجماعة بتلمسان رسولا إلى صاحب تونس، وخرج في عاشر هذا الشهر متوجها لصاحب تونس بمكاتبة من مرسله إليه "[2].

وفي هذا الشهر ورد خبر بوهران بوصول القاضي أبي عبد الله محمد العقباني بتلمسان يخبر صاحب تلمسان أن صاحب تونس صرح بالمجيء إليه: "... ورد الخبر علينا بوهران بوصول القاضي أبي عبد الله محمد العقباني قاضي الجماعة بتلمسان خبر توجهه إلى تونس صحبة قاصد صاحبها و إنه دخل تلمسان واجتمع بمرسله وذكر له عن صاحب تونس بأنه أعرض عنه وأنه توعد مرسله وصرح له بالتجرد إليه، فحصل عند صاحب تلمسان من ذلك الباعث الشديد الذي ماعنه مزيد وأخذ في تحصين تلمسان "[3].

[1] عبد الباسط بن خليل،الروض الباسم، المصدر السابق، ص 47

[2] نفسه، ص 56

[3] نفسه، ص 57

- **تحصين تلمسان:**

بعد مجيء مبعوث صاحب تلمسان وإخباره أن صاحب تونس يتوعد بمجيئه ثانية إلى تلمسان شرع محمد بن ثابت في بناء برج بتلمسان تحصينا لها. "في أوائل شعبان، ابتدأ صاحب تلمسان في بناء برج عظيم على باب تلمسان أخذ في قطع ما إلى جانب الباب من خارجه من الأشجار واجتهد في تحصينها وتفقد أسوارها. أنهى إنشاء هذا البرج في أواخر هذا الشهر."[1]

بعد الإنتهاء من بناء هذا البرج خرج صاحب تلمسان قاصدا جبل بني تسول يتفقد الحصن الموجود فيه كي يبعث إليه حريمه وذخائره بالقصر:" وفي هذا الشهر (شعبان) بعد إنشاء الحصن على باب تلمسان خرج صاحب تلمسان إلى المكان الذي يقال له جبل بني_تسول، وبه حصن منيع فتفقده وأشيع بأنه قصد أن يبعث بحريمه وذخائره إليه، إذ أبلغه مجيء صاحب تونس إليه."[2]

بعد خروج صاحب تلمسان لقضاء بعض الأمور خارج تلمسان تاركا وراءه ابنه الأصغر عبد الله بالقصر حدث ما لم يكن بالحسبان "وفي نفس الشهر خرج صاحب تلمسان لبعض مقاصده، وجعل ولده الأصغر المسمى بعبد الله بالقصر، وأوصى عبد الله بن النجار بأن يرقد ليلا بالقصر مع جماعة من الحرسية،. فاتفق في بعض ليالي هذا الشهر بأن تعامل من بسجن القصر من الوزير الذي كان من جهة المعتصم وجماعة

[1] عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم، المصدر السابق، ص 60

[2] نفسه، ص 60

أخرى معه في السجن، فكسروا بابه ثم خرجوا إلى وسط القصر وهجموا على عبد الله بن النجار وهو راقد في غفلة فقتلوه ذبحا هو وبعض من كان عنده ثم توجهوا إلى دار بن السلطان عبد الله المذكور فأخرجوه منها و أرادوا أن يسلطوه ثم يصبحوا فيملكون به تلمسان و يقاتلون به والده و يمنعونه من دخول تلمسان."[1]

- تحايل عبد الله بن محمد بن أبي ثابت على المعتدين:

أمام الوضع الذي وقع فيه عبد الله ما كان له إلا أن يهتدي إلى حيلة يخلص بها نفسه، "فاحتال عبد الله هذا وكان شابا حدثا لم يلتح بعد بأن قال لهم حبا وكرامة أنا معكم وفي الباكر يكون ما تريدونه وأخذ في تحريضهم وتشجيعهم على ما قصدوه فلم يتوهموا في ميلانه معهم لكونه يملك فتركوه ليصبح النهار، ثم دس ليلا من عنده من بلغ عبد الرحمان النجار والد عبد الله المقتول بما وقع. وأنه يدركهم وإلا أشيع الحرق، فثار عبد الرحمان من ساعته بجمع كبير وهجم على القصر، فثار الذين قتلوا ولده به ووقع بالقصر من الخطب العظيم ما لا مزيد عليه. ثم غلب النجار عليهم وقبض على الجميع وقيدهم وأعادهم إلى السجن، وبعث إلى صاحب سلطان تلمسان يعلمه بالكارثة."[2]

[1] عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم، المصدر السابق، ص 61

[2] نفسه، ص 61

-عودة صاحب تلمسان إلى القصر ورد فعله :

بعد سماع صاحب تلمسان بالكارثة التي حدثت في قصره أثناء غيابه "عاد إلى تلمسان سريعا و أحضر أولئك فاعترفوا، ثم سألهم عن "مشرف واهران"[1] فأجابوه بأنه لم يوافقهم على مقصدهم وحذرهم وأنذرهم لما أن تكلموا معه في شيء من ذلك، وأنهم لما سمعوا مقالته أظهروا الرجوع عما قصدوه حتى رقد، ففعلوا ما فعلوا من غير علمه واستظهر السلطان ذلك فوجده كما قيل. فعرفها للمشرف هذا فأطلقه من السجن وأعاده إلى بلدته ليقيم بها بداره. وأعادها إليه بعد أن كان قد انتزعها منه وأعدت دار ضيافة ثم أمر بالوزير ومن كان معه في هذه الكائنة فذبحوا بين يديه وخرت رؤوسهم وعلقت على أبواب تلمسان وكانوا أحد عشر نفرا، وكان لهم يوما مشهودا وبلغنا ذلك ونحن بواهران فأسفنا على وفاة الشاب الحسن عبد الله بن النجار لكنه مات شهيدا وكان أهل المروءة والبشاشة.

وأما ولده السلطان الأصغر عبد الله فأكرمه والده وأحبه جدا زيادة عما كان قبل ذلك وآل به أن وَلِيَ تلمسان بعد أبيه و أخيه، وهي بيده الآن."[2]

كذلك يروي عبد الباسط ما فعله صاحب تلمسان بنفر من الفرنج الذين أرادوا اختطاف نفر من المسلمين والإغارة عليهم بالطرقات."...أحضر إلى مدينة تلمسان ونحن بها أحد عشر نفرا من الفرنج أسروا من ساحل مونيسن وكانوا وردوا إليها بمركب لتخطف

[1] مشرف واهران: هو محمد الزكاشي وهو المدبر لوهران وبيده جميع تعلقاتها وكان ولي الإشراف عنها.وكان من رؤساء وهران و أكابرها في دولة أحمد بن أبي حمو المعتصم بالله، فلما وليها محمد بن أبي ثابت بعد أحمد المعتصم أخرجه من إشراف وهران بعد أن صادره واستقدمه إلى تلمسان، فسجنه بالقصر بها هو وجماعة من أعيان أحمد بن أبي حمو. عبد الباسط بن خليل، المصدر السابق، ص ص 59- 60

[2] عبد الباسط بن خليل ، نيل الأمل في ذيل الدول، المصدرالسابق، ص 62

المسلمين والإغارة عليهم بالطرقات ونحوها، فأخذوا وجهزوا إلى تلمسان للسلطان بها حتى يرى فيهم رأيه، وكان لما فطن المسلمين بهم ثاروا عليهم فهرب منهم الكثير وأخذ من ذكرنا وتقلع الباقون بمركبهم إلى البحر ووسعوا. ولما أحضر المأخوذون إلى صاحب تلمسان أمر بستة منهم فعلقوا مشنوقين من رقابهم على بعض أبواب تلمسان إلى أن ماتوا وأبقى منهم خمسة يذكر أنهم من ذوي اليسار ليفادوا عن أنفسهم بالمال "[1]

إضافة إلى ذلك من الأحداث السياسية التي عرفها المغرب الأوسط إغارة مركب الفرنج على سواحل وهران وبجاية ومن الآثار الناتجة عنه إخافة السبل ووقوع الكثير من أهل المدينتين وهران وبجاية في الأسر على حد قول عبد الباسط: " ونحن بواهران ظهرت أربعة مراكب للفرنج من جهة المغرب، ففزع أهل النواحي بخارج واهران إليها بل وأرجف بواهران أن هذه المراكب مشحونة بالمقاتلة وأنهم قصدوا أذى المسلمين ثم اجتازت تلك المراكب ولم تعرج لجهة واهران ولا سواحلها وسلم الله تعالى، ثم بلغنا الخبر بأنها أخافت السبل بنواحي بجاية وأخذت بالمارة وأسرت الكثير من المسلمين "[2]

يبدو من خلال ما تقدم ذكره أن الفترة التي عايشها عبد الباسط أثناء رحلته إلى المغرب الأوسط قد عرفت تحولا سياسيا كبيرا، إذ شهد هذا الأخير أوضاعا سياسية مضطربة وأصبح مسرحا للعديد من الصراعات السياسية والعسكرية بسبب موقعه

[1] عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم، المصدر السابق، ص 43.

[2] نفسه، ص ص 60-61

الجغرافي والفتن الداخلية والخارجية كالحملات الإفرنجية على سواحل وهران وبجاية. وما ميز الحالة العامة له غياب الأمن والإستقرار السياسيين في أغلب الأحيان.

2- الأوضاع الإجتماعية:

تطرق عبد الباسط إلى أبرز المشاهد التي وقف عندها خلال رحلته، حيث رصد صورا متعددة للعادات والتقاليد والأعراف والأحوال المعيشية، ففيما يخص العادات والتقاليد نقل هذا الرحالة ما عايشه منها كالإحتفال بالأعياد الدينية مثل عيد الأضحى، حيث يروي ويصف لنا ما شاهده عن صاحب تلمسان في عيد النحر، ويروي عبد الباسط في ذلك: " وفي اليوم الحادي عشر من ذي الحجة كان عيد النحر بتلمسان، فخرجنا للمصلى بظاهرها وحضر محمد بن أبي ثابت صاحب تلمسان صلاة العيد في هذا اليوم بعد أن خرج في موكب حافل حيث تعالى النهار جدا، ثم صلى ونحر أضحيته كبشا أملحا في المصلى بعد فراغه من الصلاة، وشهر هذا الكبش محمولا على بغل مع رجل يُعد لذلك، فشق به المدينة لأجل أن يتيقن بتضحية الإمام على قاعدة مذهب الإمام مالك رضي الله عنه. وكان هذا الرجل لما سار بهذه الذبيحة الأضحية مجدا ببغله فيها نحثا في ذلك ولم أكن أعرف ذلك فأجابني بأن ذلك من عادة ملوك هذه البلاد وأصل ذلك ما لاحظته أن من إعلام الناس بأن الإمام ذبح."[1]

[1] عبد الباسط ، الروض الباسم، المصدر السابق، ص ص 41-42

وما زاد الأمر غرابة في نفس عبد الباسط هو ما شاهده أثناء رجوع صاحب المدينة سماعه لعجوز تدعو له بدعوات على حد قوله: "ثم عاد محمد بن أبي ثابت المذكور إلى المدينة في موكبه الحافل وسمعت امرأة في غضون اجتيازه على الناس من العجائز تدعو له بدعوات من ذلك أن يسخر الله تعالى له سليمان بن موسى فعجبت من ذلك وكان سليمان هذا من كبار أمراء عرب تلك البلاد وهو أمير علابان هلال أعظم من أمير آل فضل في هذه البلاد ومن كان سليمان هذا معه من ملوك تلمسان راح أمره ومن كان عليه كان في إدبار وتفوق ."[1]

ويذكر أيضا عبد الباسط وليمة كبيرة أقيمت بمدينة وهران حضرها هو ومجموعة من كبار أهلها وقال واصفا الأجواء: " وفيه جمادى الآخرة عملت وليمة عظيمة بمدينة وهران في منزل خطيبها لأجل ختم ولده القرآن العظيم، وحضرها جماعة الأعيان بواهران وأكل منها غالب أهل البلد وحصل للشيخ عبد الرحمن بن عزوز إمام زاوية الشيخ إبراهيم التازي وفقيه المكتب الذي أنشأه الشيخ المذكور وهو فقيه هذا الولد الذي احفظه القرآن زيادة على المائة دينار ذهبا كل دينار زنة مثقال. وكان مهما حافلا في يوم مشهود بتلك البلدة."[2]

[1] نفسه ص 42

[2] عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم، المصدر السابق، ص47

كذلك يروي عبد الباسط ما شاهده بتلمسان أن سكانها كانوا يقصدون مسجدا بها يزعمون بأنه مكان الجدار الذي أقامه السيد الخضر، وأنه تجاب فيه الدعوة عليه أسن وحفر، ثم رأى في بعض التفاسير أن المراد بالقرية المذكورة في سورة الكهف هي تلمسان، إضافة إلى ذلك ما رواه عن الصخرة الموجودة في وهران من باب البحر إلى الساحل التي وجد فيها مصلى يزعم أهلها أن الدعوة مستجابة فيه.[1]

وما يمكن استخلاصه أن الأوضاع الإجتماعية التي سادت المغرب الأوسط والتي عايشها الرحال عبد الباسط وصور لنا جملة منها قد شكلت في مجملها صورة المجتمع المغربي الذي ميزه تنوع كبير في العادات والتقاليد المرتبطة بالحياة اليومية للسكان على اختلاف طبقاتهم كالإحتفالات الدينية (الأعياد، ختم القرآن، ...) والولائم وغيرها.

3- الأوضاع الإقتصادية:

وبالحديث عن الحياة الإقتصادية فقد شهدت ازدهارا كبيرا وتنوعت مصادر الدخل وشمل هذا الإزدهار الزراعة التجارة والصناعة، فقد كانت هناك علاقة وطيدة ربطت بين القطاعات الإقتصادية فيما بينها ارتباطا وطيدا. من المعروف أنها تكمل بعضها البعض. إذ شكل الإنتاج الزراعي الحرفي موارد هامة للتبادل التجاري.

[1] عبد الباسط، نفسه، ص 57

3-1. الزراعة:

كانت جودة الأراضي وخصوبتها وتعدد طرق استغلالها ونظمها وتنوع مصادر المياه وأساليب السقي واعتناء سكان تلمسان واهتمامهم بالنشاط الزراعي عوامل مهمة في تفسير نوعية الإنتاج وكميته في الدولة الزيانية، فقد شهدت منطقة تلمسان وما جاورها نشاطا مكثفا. يتفق أغلب الجغرافيين على التنويه بآثاره مع زيادة في الإنتاج، وما يذكر على سبيل المثال إنتاج الخضر والفواكه، حيث تتوفر في الأراضي الخصبة المجاورة للأودية والعيون في شكل مزارع وبساتين وجنان، وهنا يشير عبد الباسط إلى ما شاهده ويصف ذلك بدهشة وإعجاب فيقول:"...فرأيت جزيرة عجيبة في الجزائر قريبة من أحد جوانبها إلى البر الكبير، خصبة جدا ذات كروم وزيتون وغنم كثير وخير وافر وإلى قرب مينائها حصن منيع دخلت إليه ورأيته وديارها في بساتينها، وليست بمدينة مسورة بل مفرقة الأبنية أنيقة جدا مربعة الشكل بوضع غريب، فأقمنا بساحلها ثمانية أيام، فأوسق التجار منها الزيت الكثير وأنواع الأكسية."[1]

[1] عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم، المصدر السابق، ص 36

وكذلك يصف ما شاهده في مدينة قسنطينة من المزارع وتنوعها في قوله:"...وفي سابع عشره دخلت مدينة قسنطينة فرأيت مدينة عجيبة الموضوع، حسنة المجموع على جبل عال، وتحتها واد عظيم، كثير الخصب والأجنة والبساتين ذات الأشجار ذوي الثمار المتنوعة وبها النعم والخيرات والرخاء الغالب أعجبتني إلى الغاية. "[1]

3-2.الصناعة:

مثلت بعض الحرف والصنائع في مجتمع المغرب الأوسط القاعدة الإنتاجية وذلك لما كان يقدمه الحرفيون من دور بارز في تنشيط الحياة الإقتصادية، وذلك باستغلال الموارد الأولية وتحويلها إلى بضائع يتم استهلاكها وقابلة للتسويق، ومن أهمها صناعة النسيج.

أ- صناعة النسيج:

تعتمد هذه الصناعة على موارد مختلفة كالصوف والقطن والكتان والحرير والجلود المدبوغة والتي تعتبر مادة أولية متوفرة بشكل كبير في أراضي المغرب الأوسط وتشمل بوجه حاصل حياكة الملابس والزرابي والحنابل وصناعة الخيم والأحذية والسروج والأحزمة وغيرها. وقد أثنى عبد الباسط على هذه الصناعة بتلمسان بقوله: " فقد كان أبو زيد عبد الرحمان من كبار أرباب الحرف بتلمسان، يزاول حياكة الصوف الرفيع في درب

[1] عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم، المصدر السابق، ص 40

شاكر، وكان أغلب هذا الدرب له ولخدامه يقصده كبار التجار من المشرق والمغرب للإقتناء منها وكان يجني بيعه لهذا الصوف ألف دينار في اليوم الواحد."[1]

ب- الصناعات الفخارية والخشبية:

ارتبطت حرفة الفخار بوجود عدد من الأفران المتخصصة بصناعة الفخار والخزف والقرميد بمدينة تلمسان، ومن المؤكد أن هذه الصناعة قد تأثرت بشكل كبير بفضل فئة الأندلسيين الذين أدخلوا معهم إلى بلاد المغرب الأوسط صناعات جديدة كصناعة الزليج، وكذا فإن عمارة المساجد وبناء القصور واليبوت تركت آثارا كبرى في تطوير الصناعات الخشبية بما احتاجته من أسقف ونوافذ وأبواب ومنابر. وقد برز كذلك النحت على الخشب بالنسبة إلى الأثاث والخزائن وأبواب المساجد. ومن بين الآثار الدالة على ذلك هذه الحرفة المدرسة التاشفينية التي زارها عبد الباسط ووصفها على أنها آية في الزخرفة والجمال .

3-3.التجارة:

تكاتفت جملة من العوامل ساعدت على نمو وتطور التجارة بالمغرب الأوسط فمنها الطبيعية وخصوصا الموقع الإستراتيجي لهذه البلاد، ومنها العوامل الإقتصادية المرتبطة بغنى هذا الإقليم من الناحية الطبيعية والفلاحية. الأمر الذي أدى بالضرورة إلى تنوع الإنتاج الذي سيكون محل مبادلات واسعة وفقا لنظام تجاري من خلاله تخضع الأسواق

[1] طوهارة فؤاد، المجتمع و الإقتصاد في تلمسان خلال العصر الزياني (ق07-09هـ/ق 13-15م)، دراسات تاريخية ع 16 ، جامعة 08 ماي قالمة الجزائر ، جوان 2014م ، ص84.

للمراقبة من أجل محاربة ظاهرة اللصوصية التي كانت منتشرة بها بكثرة مستهدفة بذلك فئة التجار، أضف إلى ذلك دفع الضريبة من طرف التجار كي يدخلوا المدينة أو يؤخذ منهم العشر و" أن بعضهم كان يلجأ إلى تهريب بضائعه بتوزيع على من يدخل من أهلها لأنهم لا يفتشون ولا يطلب منهم أن يدفعوا أي ضريبة على ما يحملون. وكان التجار يستردون بضائعهم في المدينة بعد نجاحهم في التخلص من دفع الضريبة المطلوبة."[1]

أ- الموانئ التجارية:

أصبحت الموانئ التجارية تلعب دورا محوريا في تنقل التجار من وإلى المغرب الأوسط . أشهرها ميناء بجاية ووهران، فقد شكل ميناء بجاية موضعا مناسبا لاستقبال السفن التجارية ورسوها على اختلاف أنواعها، حيث أن وظيفته لم تكن محصورة في الإرساء فقط، إنما تعدى إلى مركز لتفريغ البضائع والسلع أين تبدأ أولى المعاملات التجارية هذا بالنسبة للقسم الشرقي للمغرب الأوسط، وبدوره شكل ميناء وهران أحد المنافذ الرئيسية للتجارة البحرية في القسم الغربي وملتقى التجارات والتجار في مختلف الجنسيات."[2]

[1] زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص126

[2] لطيفة بشاري، النقل البحري في إمارة بني عبد الواد من القرن 07هـ إلى القرن 10هـ / 10م إلى 13م، **الملتقى الدولي الموانيء الجزائرية عبر العصور سلما وحربا**، جامعة الجزائر2، 07-08 ديسمبر2009م، ص ص 432-433

ب- الخطوط التجارية البحرية بين المغرب الأوسط وأوروبا:

-خط جنوة- بلاد المغرب: لم تكن هناك طرق مباشرة في البحر الأبيض المتوسط خلال العصر الوسيط تربط بين حوضيه الشرقي والغربي إنما تخرج السفن من المدن الإيطالية وجمهورياتها، متفرعة غربا إلى غرب أوروبا وشرقا إلى مصر والشام والأناضول وقوافل مدينة جنوة التجارية لم تخرج عن هذا التقسيم.[1]

المدن المينائية الهامة للمغرب الأوسط مثل وهران وبجاية كانت تعد إحدى المحطات الرئيسية له وهنا تساعدنا رحلة عبد الباسط بن خليل في تتبع مسار هذا الطريق في رحلته المارة ببلاد المغرب إلى المشرق، حيث ركب هذا الأخير في مركب للجنويين مقلعا إلى الإسكندرية وفي هذا الصدد يقول: " وفيه (صفر 871هـ) ورد إلى ساحل واهران شونية عظيمة من مراكب الفرنج الجنويين برسم الأتجار في الجوخ، وكانت وردت من المحيط من بلاد إفلندا ونحوها من بلاد الفرنج بالمحيط، وتجهز الكثير من تجار واهران وتلمسان للسفر فيها إلى جهة بلاد تونس... ودخلنا إل ساحل البر بالقرب من بجاية...ثم طابت رياحنا فسافرنا من بجاية ... ودخلنا ساحل المرسى بتونس وعزمت على عدم الإقامة بها وأن أتوجه إلى طرابلس في المركب التي أنا بها لأقرب من البلاد ...لأنها أقامت نحو الأربعة أيام ثم سافرت..." [2]

[1] نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية و محطاتها بين الشرق و الغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية، للكتاب ، 1973 م ، ص-ص 178-182

[2] R.BRUNSCHVIG , Deux Récits de voyage Inédits , pp67-68

من خلال هذا يمكن القول أن هناك خط تجاري ربط مدينة جنوة الإيطالية بمدن بلاد المغرب الأوسط، وأن المحطتين الرئيسيتين فيه هما مدينتي وهران وبجاية وأن المتحكمين في الخطوط الملاحية التجارية كانوا من الأوروبيين(الإيطاليون) بدليل انظار كل من تجار وهران وتلمسان لمجيء المركب الجنوي من أجل استخدامه للإنتقال إلى تونس.

وفي الأخير يظهر أن هذا الخط الملاحي التجاري لم يربط فقط تجارة جنوة والمدن الإيطالية بتجارة بلاد المغرب الأوسط، ولكن ربط كذلك تجارة هذه الأخيرة بتجارة إفريقية (تونس) أولا، ثم ربطها بالمشرق (الإسكندرية) ثانيا، وهو دليل على الحجم الكبير للمبادلات التجارية التي كانت حاصلة في حوض البحر الأبيض المتوسط ومسالكه البحرية انطلاقا من وصف الرحالة للمركب الجنوي بـ"شونية" [1] عظيمة.

- خط البندقية- بلاد المغرب:

"تعد البندقية من المدن الإيطالية التي نظم تجارها رحلات بحرية بحوض البحر الأبيض المتوسط ضمن خطوط ومسالك بحرية"[2]، إذ ينطلق الطريق الذي تشكل بلاد المغرب إحدى محطاته، "من البندقية فيتوجه إلى الإسكندرية ثم يمر بالموانىء المغربية

[1] الشونية أو الشيني: هي نوع من أنواع السفن المستخدمة في الرحلة البحرية في البحر الأبيض المتوسط. كان يستخدمها المغاربة والأوروبيون. وهي مستطيلة الشكل، تتكون من عدة طوابق و أصبحت عنصرا للأساطيل التجارية. وتحمل عددا قليلا من المسلحين للدفاع عنها في حالة نعرضها لهجمات القراصنة. وكانت تستخدم في غالب الأحيان لنقل بضائع خفيفة الوزن مرتفعة السعر. لطيفة بشاري، **النقل البحري في إمارة بني عبد الواد** ، ص ص 440-441

[2] نعيم زكي فهمي، المرجع السابق، ص 91.

ويصل إلى المرية بالأندلس، وكانت السفن أثناء رحلتها الطويلة تتوقف في ميناء طرابلس وتونس، بجاية ووهران." [1]وبرحلة عبد الباسط كذلك العديد من الأمثلة عن رحلات "مراكب البنادقة"[2] بين الإسكندرية وبلاد المغرب، حيث ركب هذا الأخير من ميناء الإسكندرية بشواني البنادقة المقلعة إلى تونس "[3] .وعما رواه عبد الباسط من قصص يظهر منها أن التجار كان يؤخذ منهم عند باب المدينة عشر قيمة ما معهم من البضائع.[4]

وفي الحديث عن التعشير أيضا يروي عبد الباسط عن مجيء عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بابن النجار من تلمسان إلى وهران من أجل تعشير مراكب من الفرنج بمتاجر لمدينة وهران إذ يقول في هذا الصدد: "... قدم عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بابن النجار ولد صاحب الأشغال بتلمسان بل ومدبر مملكة تلمسان أعني والده عبد الرحمن وقدم لأجل تعشير مراكب قدمت من الفرنج بمتاجر لمدينة واهران."[5]

[1] لطيفة بشاري، **العلاقات التجارية للمغرب الأوسط: في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر لهجريين (13-16م)** ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف الجزائر،2011م ، ص 91.

[2] تعرف بمراكب المدة، وهي عبارة عن قوافل بندقية بحرية ترحل إلى الشرق في أوقات وصول السلع إلى هذه البلاد، وهي في الغالب أوقات الحج لتعود في الخريف قبل حلول فصل الشتاء. ويبدو أن خط رحلة هذه السفن إلى بلاد المغرب لم يكن مباشرا .ينظر: نعيم فهمي، المرجع السابق، ص ص 178-179

[3] عبد الباسط بن خليل ، الروض الباسم، المصدر السابق، ص 181

[4] نفسه، ص- ص 64-65

[5] نفسه، ص 59

كما تحدث الرحالة عن عبث اللصوصية وقطاع الطرق للتجار المتنقلين من فاس إلى تلمسان خلاصتها أن جمعا من التجار باعوا تجارة لهم في فاس وأرادوا الرجوع إلى أوطانهم ولكنهم كانوا يحسبون لقطاع الطرق ألف حساب، فاتفق أربعة منهم على الرجوع بحيلة احتالوها مشت على العرب وقطاع الطريق بأن شروا حميرا وجعلوا عليها إخراجا بما كان معهم من المال النقد وعمدوا إلى عبي عتيقة فجعلوها أغطية على الإخراج وأنهم أخذوا الطحال من الغنم فجففوه ودقوه وحملوه معهم مع شيء من الغراء وخرجوا، وكانوا إذا قربوا من طائفة من العريان أو نجع أذابوا الغراء الذي معهم وجعلوا يلطخون مواضع من أبدانهم على رقابهم ووجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى نصف الساق ثم يدرون على ذلك مما معهم من الطحال المدقوق المجفف ويمشون بأسكانهم يوهمون بأنهم مجاديم من أهل البلاء وأنهم يجولون بحميرهم عليها زادهم وأثاثهم فكانوا يجتازون على العرب ورأوهم على تلك الحالة هربوا فارين منهم وأبعدوا عنهم يخشون العدوى، حتى كانوا يجعلون لهم من أنواع المآكل على ممرهم بالطريق ويشيرون إليهم من البعد بأن يأخذوا ذلك ويدعون لهم من غير أن يقربوا منهم ولا يصلوا إليهم... ولم يزالوا على ذلك حتى وصلوا إلى بلادهم ولم يروا إلا الخير والسلامة وكان يكاد أن لايطير الطير من شرور من اجتازوا بهم من الغربان وعد ذلك من غريب الحيل والنوادر .[1]

[1] زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 125

كما أن عبد الباسط بن خليل فوجىء بالسراق يوم حل بتلمسان أرادوا سرقة متاعهم أو بضائعهم التي كانوا يريدون المتجارة بها، يدل على ذلك قوله: "... وفيه في أواخره دخل لمكان سكني بتلمسان إثنان من السراق واختفيا بالمنزل من غير أن أشعر بهما ثم ثارا علينا ليلا وجرى لي معهما انا ومملوك لي خطب كبير بعد أن أحسسنا بهما قبل أن يأخدنا النوم، وسلم الله تعالى من شرهما وخلصا من أيدينا هربا بحيلة منهما ولو ثارا بنا ونحن رقود لحصل مالا خير فيه لعل على النفس لكن سلم الله تعالى وله الحمد على المهلة."[1]

إضافة إلى ما رواه الرحال من قصص لها علاقة بالجانب التجاري كان هو بنفسه طرفا فعالا في هذا المجال بحكم أنه كان تاجرا يكسب نفقات أسفاره من التجارة في العبيد وفي البضائع المصرية والمغربية واستطاع بذلك أن يختلط بالتجار في البلاد التي مر بها، ولكنه يجتمع فضلا عن ذلك بالفقهاء والعلماء وكان يكافئ على قصائده في المديح بإعفائه من الضرائب على تجارته أحيانا ويمنح العطايا أحيانا أخرى. من ذلك أنه نظم قصيدة في مدح صاحب تلمسان فكتب له ظهيرا بمسامحته في كل مايتصرف فيه من نوع المتجر وإنزاله بمكان بواهران إلى حين سفره ورتب له بها شيئا من لحم ودقيق وعليق."[2]

[1] عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم، المصدر السابق، ص 42

[2] نفسه ، ص 48

وباعتبار عبد الباسط تاجر فقد كان يهتم بشؤون تسيير تجارته واقتناء منتوجات وسلع لزيادة كسبه، "غير أن التجارة التي كانت تدر عليه أرباحا طائلة هي تجارة السلع، فكان مثلا يبيع القطن الذي يجلب من مصر، كما كان يشتري ويبيع بعض المنتجات المغاربية " [1]

وفي مجمل القول تجدر الإشارة إلى أن الأوضاع الإقتصادية التي شهدها المغرب الأوسط كانت سببا مهما في قيامه. فقد أسهمت جملة من العوامل في تحقيق قفزة اقتصادية وذلك بتنشيط الحركة التجارية وتوسيع نطاقها داخليا وخارجيا. إضافة إلى ذلك التنوع في الجانبين الصناعي والزراعي .

[1] عبيد بوداود:" وهران في العصر الوسيط من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين"، **مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجنمع والتاريخ**، ع 04،01 ديسمبر 2009، ص 153.

4- الأوضاع الثقافية:

رغم أن الأوضاع السياسية التي تحدث عنها الرحال عبد الباسط في المغرب الأوسط كانت مضطربة فإن ذلك لم يمنع من وجود حياة فكرية زاهرة معاكسة تماما لها. ولم تتأثر بالشكل الذي يؤدي بها إلى الجمود، رجع ذلك إلى تشجيع الحكام والأمراء للعلماء والفقهاء الذين كان لهم دور عظيم في تأطير الحركة الفكرية ببلادهم وإثراء الإنتاج العلمي في شتى مجالاته، إضافة إلى ذلك موقع بلاد المغرب الأوسط، الذي كان واسطة بين بلاد المشرق والأندلس وهذا ما أدى إلى الإستفادة من العلماء الذين انطلقوا بين المنطقتين لنشر العلم[1] هذا ما جعله قبلة للطلبة والعلماء والمفكرين والتجار المثقفين. فهناك أساتذة وأدباء مارسوا التجارة موردا للعيش. وقد شهد أيضا وفود طائفة من المشارقة، علما أن رحلات المشارقة كانت بنسبة أقل مقارنة برحلات المغاربة الذين كانوا يقصدون المشرق أكثر للحج أولا ثم لطلب العلم أو لأغراض أخرى، أما أسباب رحلات المشارقة فقد كانت مختلفة من شخص إلى آخر لأن من تنقل منهم إلى المغرب الأوسط لرغبتهم الخاصة ولأغراض ثقافية حيث يرغبون في نشر علمهم بين الأهالي وغيرهم قصدوه بطلب من الحكام من أجل أن يفيد أبنائهم وأبناء العامة من علمهم و خبراتهم عن كثب.[2]

---

[1] محمد رزق بن طرهوني، **كتاب التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا**، ط01، ج01، دار ابن الجوزي، 1426هـ، ص68.

[2] إبراهيم حركات، **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ /15م**، ج01 دار الرشاد الحديثة، 2000م، ص- ص 146- 148

وقد ترك لنا عبد الباسط من خلال رحلته وصفا شاملا لحال العلم وأهله مشيرا إلى أنَّ بلاد المغرب الأوسط لم تعدم وجود نخبة والمفكرين الذين استطاعوا أن يخترقوا سياج العصر، وقد أشار هو نفسه إلى علماء تتلمذ على أيديهم ودرس عليهم في حواضر المغرب الأوسط. هذا وكان صاحب الرحلة نفسه من المساهمين في تفعيل الحياة الثقافية فيه. من هنا يتوجب علينا إلقاء نظرة وجيزة على أشهر علماء المغرب الأوسط الذين عاصرهم عبد الباسط خلال رحلته وتواجده بالمغرب الأوسط. وقد كان هذا الأخير المشهور في علوم الدنيا والذي يعتبر من الشخصيات اللامعة في مجال الطب، إذ لولا مدينة تلمسان ما كان عرف هذه المكانة التي زارها ونزل بها مدة وأخذ هذا العلم عن شيخها محمد بن على بن فشوش، حيث قال عنه معجبا به: " لا رأيت كمثله في مهارته في هذا العلم (أي علم الطب) "[1]، بل لم يغادرها إلا بعد أن أخذ عنه علوم أخرى كعلم الوقف وعلوم قديمة إلى أن توجت هذه الملازمة له بأن أجازه في كل ذلك.[2]

[1] عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ط01، ج02، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1998م، ص 250

[2] عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع نفسه ، ص 250

وقد التقى أيضا بجمع من علماء آخرين برزوا في عدة مجالات، فقد كان لهم الحظ الأوفر في العطاء والإنتاج العلمي من بينهم قاضي الجماعة بتلمسان فقد قال فيه عبد الباسط: " ثم لقينا من العلماء بتلمسان قاضي الجماعة بها الشيخ العالم الفاضل سيدي" أبوعبد الله محمد العقباني"[1] وأخوه سيدي"أبو سالم ابراهيم"[2] خطيب جامع تلمسان الأعظم وإمامه وسيدي الشيخ العالم "محمد بن مرزوق"[3] وسيدي الشيخ محمد بن زكرياء مفتي تلمسان والسيد الشريف يحي بن أبي الفرج قريب السيد الشريف التلمساني قاضي غرناطة وعالم الأندلس."[4] كما التقى جماعة أخرى من الفضلاء والأدباء والأطباء منهم سيدي علي بن فشوش أحد أطباء تلمسان وموسى بن سمويل بن يهودا الإسرائيلي وغيرهم الذين أشاد بمهاراتهم في الطب و لازمهم و تعلم منهم.[5]

[1] أبو عبد الله محمد العقباني :هو محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني: قاض، من أكابر فقهاء المالكية، له مشاركة بالأدب. ولد و نشأ بتلمسان، وأخذ عن مشايخها. رحل إلى المشرق وحج وعاد، فولى قضاء الجماعة ببلده. من آثاره "تحفة الناظر و غنية الذاكر في حفظ الشعائر و تغيير المناكر ". مات بتلمسان. ينظر: عادل نويهض، المرجع السابق .ص 237.

[2] ابراهيم بن قاسم بن سعيد بن محمد أبو سالم العقباني، التلمساني: قاض، حافظ للحديث، من فقهاء المالكية من أهل تلمسان وبها نشأ وأخذ عن مشايخها، ثم ولي قضاءها. أخذ عنه أحمد الونشريسي وأثنى عليه ونقل عنه في كتبه . له فتاوى نقلها صاحب "الدرر المكنونة ". عادل نويهض ، المرجع نفسه ، ص 236

[3] محمد بن مرزوق :العجيسي التلمساني ، أبو عبد الله ،المعروف بالحفيد. فقيه حجة في المذهب المالكي، نحوي عالم بالأصول ،حافظ للحديث ،مفسر،ناظم ،ولد بتلمسان و بها أخذ عن والده وعمه وسعيد العقباني وغيرهم. رحل إلى تونس وفاس ثم دخل القاهرة فلقي بها العلامة ابن خلدون و الفيروز آبادي والنويري صاحب النهاية وأخذ عنهم. حج سنة 790 هـ رفقة الإمام ابن عرفة وحج ثانية سنة 819 هـ فلقي الإمام ابن الحجر وأخذ عنه. مات بتلمسان. من آثاره "المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية" "المعراج في استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج " ، " الروضة " ... ومؤلفات أخرى. عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص ص 290-291

[4] عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم، المصدر السابق، ص 44

[5] نفسه، ص ص 42-43

كانت رحلة عبد الباسط العلمية والتجارية إلى بلاد المغرب الأوسط شاقة مليئة بالمخاطر والمصاعب لكن كل تلك الصعوبات كانت تصطدم بإرادته الصلبة في حب العلم والمعرفة ليواصل مسيرته الطويلة التي جاب بها ربوع المغرب الأوسط، وسجل الحوادث التي عاينها وعايشها خلال تنقلاته بمراحلها وتواريخها وأحداثها تضمنت معلومات مهمة عن يوميات سكانه وانطباعاتهم، ونقل صورا عن أوضاعهم بمختلف حيثياتها.ذكر العلاقات السياسية التي تربط بين كل من صاحب تونس وصاحب تلمسان، وعلاقات المسلمين باليهود وبالفرنج والصراع الحربي بين الفريقين من جهة والحركة التجارية بينهما من جهة أخرى. أما الجانب الإقتصادي رصد النظم المالية من خراج وضرائب وأعشار، أما الأحوال الإجتماعية فقد ذكر العادات والتقاليد والرسوم لدى المسلمين وذكر فيها بعض القضايا الفقهية التي صادفها، ودون المناقشات العلمية التي دارت بين العلماء والفقهاء، كما أورد العديد من القصص الطريفة التي وجدها أثناء أسفاره. قد كانت رحلته آخر حلقة في سلسلة الرحلات المشرقية إلى بلاد المغرب الإسلامي والأندلس.

خـــاتـمـة

خاتـــــمة

وفي نهاية دراستنا لموضوع أوضاع المغرب الأوسط خلال القرن التاسع الهجري من خلال رحلة عبد الباسط بن خليل إليه توصلنا إلى مجموعة من الإستنتاجات أهمها:

- تميز مجتمع بلاد المغرب الإسلامي بظهور أنواع عديدة من الرحلات حسب الغرض المسطر لها، والتي اعتبرت سجلا تاريخيا لمظاهر الحياة من مختلف جوانبها السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية.

- قام عبد الباسط بن خليل خلال رحلته بتدوين مشاهداته ووصف ما اجتازه من وقت مفارقته لوطنه إلى حين عودته إليه وصفاً يتمشى مع ما تصبو إليه نفسه ويتفق مع تكوينه العلمي، فقد وصف كل بلد زاره وما امتاز به، وما احتوى عليه من معالم ورسوم وعادات، وصور لنا فيها جمال مدن المغرب الأوسط.

- برز ازدهار الحياة العلمية والفكرية بالمغرب الأوسط، وبروز علماء وفقهاء في كل المجالات، فذكر لنا الرحالة أسماء من لقيهم من رجال العلم والدين، ولا سيما أهل الحديث والفقه، وما أخذ عن كل واحد، وما اتصل به من أسانيدهم، وطرائق رواياتهم، واجتهد في الحصول على أكثر ما يمكن من الإجازات، وفي ذلك دلالة على المكانة العلمية لعلماء وفقهاء المغرب الأوسط، وتفعيل التبادل الفكري والعلمي بين مختلف حواضر العالم الإسلامي.

- اخترقت بلاد المغرب الأوسط شبكة طرق ربطته بأنحائه المتباعدة وبالعالم الخارجي مما استدعى ضرورة تحصينها وحمايتها من ظاهرة القرصنة من أجل تفعيل التبادل السلعي المدعم بشبكة من المسالك والطرق التجارية لدعم النشاط التجاري، ومحاربة اللصوصية، وخضوع التجار إلى الضرائب عن طريق التعشير الذي من شأنه يساهم في خزينة الدولة والرفع في اقتصاد دول بلاد المغرب الأوسط ونخص بالذكر في تلك الفترة وهران وتلمسان وبجاية.

- ما ميز الحياة الثقافية في المغرب الأوسط أنها كانت تزدهر وتتقدم تحت ظل الحكام والأمراء الذين شجعوا العلم وأهله رغم الصراعات السياسية آنذاك. فلم يتجاهلوا الجانب العلمي فيه بل ساهموا بشكل كبير في إثراء الحركة العلمية. حيث كانوا يحيطون العلماء برعايتهم وتشجيعهم وعطايهم وخلق جو من التنافس بين الأدباء والشعراء والبحث والإبداع وفتح دور العلم والمدارس التي كانت لها دور هام في دفع الحركة العلمية والفكرية في حواضر المغرب الأوسط وتوسيع رقعتها .

قائـــمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم برواية ورش

- **المصـــــــادر:**

01- ابن أبي الدينار، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، تح الشيخ محمد شمام، المكتبة العتيقة تونس، 1967م .

02-ابن إلياس الحنفي بن أحمد ، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**،تح محمد مصطفى، ج04، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 1402هـ- 1982م

03-الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، **مسالك الممالك**، ط2، دار صادر بيروت ، د.ت

04-البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد ، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب جزء من كتاب المسالك والممالك** ، تح جمال طلبة ، ط01، ج02، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003م

05-ابن بطوطة ، **رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار**، تح الشيخ محمد عبد المنعم العريان ، راجعه و أعد فهارسه الأستاذ مصطفى القصاص، ط01، ج01، دار إحياء العلوم بيروت، 1408هـ /1987م .

06- ابن تغري بردي جمال الدين الأتابكي، تح:محمد حسين شمس الدين، ط1، ج1، دار الكتب العلمية –بيروت- ، 1413هـ/1992م .

07-ابن حوقل النصيبي أبو القاسم ، **صورة الأرض** ، ط2 ، دار صادر بيروت د.ت

08-ابن خلدون عبد الرحمان ، **مقدمة ابن خلدون**، تح: مجدي فتحي السيد، دار التوفيقية التراث، مصر.

09-ابن خلدون عبد الرحمان، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تح خليل شحادة وسهيل زكار، ج7 دار الفكر للطباعة والنشر-بيروت -، 2000م

10- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد ، **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**، تح الدكتور إحسان عباس، ج3،دار صادر بيروت، 1398هـ-1978م

11-ابن خليل زين الدين عبد الباسط ، **الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم**، تح: محمد محمد عامر، كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، 1977م/1978م.

12-ابن خليل عبد الباسط بن شاهين الملطي، **غاية السؤال في سيرة الرسول**، تح محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، ج1، 1408هـ-1988م.

13-ابن خليل عبد الباسط زين الدين ابن شاهين الظاهري الحنفي، **نيل الأمل في ذيل الدول**، تح: عمر عبد السلام تَدمُري، القسم الأول ،ج1، المكتبة العصرية سَـيدا – بيروت - ،1422هـ/2002م.

14-ابن زيات التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: احمد التوفيق، ط02 ، منشورات كلية الآداب، الرباط ، 1997م.

15-ابن مرزوق التلمساني محمد، **المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**،تح: ماريا خيسوس بيفيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م

16-ابن مريم،محمد بن محمد أبو عبد الله ، **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان**، ديوان المطبوعات الجامعية -الجزائر - 1986 م .

17-أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر ، **تقويم البلدان** ،دار صادر، بيروت ، د.ت

18-التنسي محمد بن عبد الله ، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان**، تح: محمود آغا بوعياد ، موفم للنشر، 2011م.

19-الحسن الوزان، **وصف إفريقيا** ، تر :محمد حجي،محمد الأخضر ، ط02 ، ج02، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان .1983م

20-الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، **معجم البلدان**، مج1، دار صادر بيروت ،1977م

21- الحموي ياقوت الرومي، **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تح الدكتور احسان عباس، دار الغرب الإسلامي. بيروت- لبنان ، ط1 ، 1993م

22-الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، تح: صلاح الدين الهواري، ط01، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2004م.

23-الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس مكتبة لبنان، بيروت1984م.

24-الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ، **تاريخ الدوليتين الموحدية والحفصية** تح وتع محمد ماظور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م.

25-السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمان (ت 902هـ /1497م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج4، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

26-عبد الواحد المراكشي ، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ،تح محمد زينهم محمد عزب ، دار الفرجاني للنشر و التوزيع – مصر، 1994م .

27-الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح عادل نويهض،ط2 ، دار الآفاق الجديدة، بيروت ، أفريل 1979م.

28-القلقشندي أبو العباس أحمد ، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ج05، المؤسسة المصرية العامة، دت،

29-مارمول كربخال، **إفريقيا**، تر: محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع الرباط ، 1984م.

30- مجهول ،**كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر و بلاد المغرب**، تع سعد زغلول عبد الحميد، دارالنشر المغربية، الدار البيضاء

31- **مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق لأبي عبد الله الشريف الإدريسي**،تح اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م

32- المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار صادر، بيروت، ط2، د.ت

33-المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت 845هـ/1442م)، **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، ط2، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987م.

المـراجـــــــع:

01-أبو الصبر عبد الرزاق ، **تاريخ الغرب الإسلامي** ، دار الكتب العلمية، ج1، بيروت لبنان، 2012م .

02-بشاري لطيفة ، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط: في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين (13-**16م)** ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر ،2011م .

03-بن طرهوني محمد رزق ، **كتاب التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا**، ط01، ج01، دار ابن الجوزي، 1426هـ .

04-بوداود عبيد، **ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط مابين القرنين السابع والتاسع الهجريين**، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2003م

05-الجيلالي عبد الرحمان ، **تاريخ الجزائر العام**، ط01، ج02، دار الغرب الإسلامي، الجزائر،1998م .

06-حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون** ،تح محمد شرف الدين يالتقايا ، دار إحياء التراث العربي بيروت –لبنان، ج1 ، 2006م

07-حركات ابراهيم ، **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ /15م**، ج01 دار الرشاد الحديثة ، 2000م .

08-حسن زكي محمد ، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى** ،دار الرائد العربي ، بيروت ،1401هـ/1981م

09-حميدة عبد الرحمن ، **أعلام الجغرافيين العرب و مقتطفات من آثارهم**، دار الفكرالمعاصر ، سوريا ، 1416هـ/ 1995م

10-درنيقة محمد أحمد ، **كتاب معجم أعلام شعراء المدح النبوي**،تق: ياسين الأيوبي، دار ومكتبة الهلال بيروت.2003م

11-الزركلي خير الدين ، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط 15،ج04، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002 م .

12-زيادَة نقولا ، **الجغرافية والرحلات عند العرب**، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب العالمي،1987م .

13-شفيق مهدي، **ممالك مصر والشام (نقودهم،نقوشهم، مسكوكاتهم، ألقابهم)**، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ط 01، 2008م.

14-عاصي حسين ، **ابن إياس مؤرخ الفتح العثماني لمصر**، ط1 ، دار الكتب العلمية–بيروت– ،1413هـ/1993م .

15-فهمي نعيم زكي ، طرق التجارة الدولية و محطاتها بين الشرق و الغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية للكتاب ، 1973 م

16-فيلالي عبد العزيز ، **بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط** ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، 2014م.

17-القاسمي الحسني عبد المنعم ، **أعلام التصوف في الجزائر: منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، ط1، بوسعادة، المسيلة، الجزائر، دار الخليل القاسمي ، 2005م .

18- قصي الحسين، **من معالم الحضارة العربية الإسلامية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع بيروت ، ط1 1414هـ /1993م

19- القلقشندي أبو العباس أحمد ، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ج05، المؤسسة المصرية العامة، دت،

20-كراتشكوفيسكي أغناطيوس يويانوفيتش، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ج01، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1963م.

21-مقيبس بشير ، **مدينة وهران دراسة في جغرافية العمران**، ط01، المدرسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983م

22-مكي الطاهر أحمد ، **دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة**، ط2، دار المعارف، 1983م .

23-نجم رائق يوسف ، **كنوز القدس**، منشورات منظمة المدن العربية، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن، رقم 94، 1403هـ/1983م.

24-نويهض عادل ، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر** ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة و التأليف والنشر ، بيروت-لبنان ، ط2 ،1400هـ/1980م.

المصادر باللغة الأجنبية :

1. ABDELHAMID HADJIAT-Rôle du sufisme dans l'évolution du peuple du maghreb actes 2eme congre international d'études des cultures du méditerranée occidentale.II.

2. ابن خليل عبد الباسط ، رحلة عبد الباسط، نشر وترجمة إلى الفرنسية، روبرت برونشفيك في كتاب:

Deux récits de voyage inédits en afrique du Nord au XV, siécle ABDALABA Sit B.HALILET ADORNE, LAROSE éditeurs, Paris , 1936 .

3. WILLIAM MARCAIS et GEORGES MARCAIS-Les monument arabes de Tlemcen ancienne-librairie thorin et B.fils, Paris.

المـــجـــــلات :

01- بوعقادة عبد القادر: "هل المغرب الأوسط خرافة ؟"، **مجلة عصور الجديدة**، مختبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، ع21-22 ، ماي 2016م

02-بوداود عبيد:" وهران في العصر الوسيط من خلال كتابات الرحالة و الجغرافيين العرب و المسلمين"، **مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع و التاريخ**، ع04، 01 ديسمبر 2009م.

03-بومهرة عبد العزيز:" التعليم في المغرب والأندلس في القرن الثامن من الهجرة" ، **مجلة التواصل**، جامعة باجي مخطار، عنابة، ع 11، ديسمبر 2003م.

04-بشاري لطيفة : "النقل البحري في إمارة بني عبد الواد من القرن 07هـ إلى القرن 10هـ / 10م إلى 13م" ، الملتقى الدولي الموانيء الجزائرية عبر العصور سلما و حربا ، جامعة الجزائر2، 07-08 ديسمبر2009م .

05-حاجيات عبد الحميد:" الحياة الفكرية في عهد بني زيان"، **مجلة الأصالة**، العدد26، 1975م.

06-شعوة علي :"المنشآت العمرانية للدولة الزيانية"، **مجلة قبس للدراسات الإنسانية و الإجتماعية**، مجلد 01، ع 02، ديسمبر2017م

07- الطالبي محمد: "الهجرة الأندلسية على إفريقيا أيام الحفصيين"، **الأصالة**، ع26، 1975م.

الفـهــرس

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

إهـــــــداء ..... **Erreur ! Signet non défini.**

شـكر وعرفـــان ..... **Erreur ! Signet non défini.**

قائمــة المختـصـــرات..... **Erreur ! Signet non défini.**

مقدمـــــة.....أ–ي

مدخـــــــل ..... **Erreur ! Signet non défini.**

1– الإطار الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط..... 16

2– نماذج عن رحالة مشارقة قبل الرحالة عبد الباسط بن خليل..... 23

الفـصـــل الأول:حياة عبد الباسط بن خليل بن شاهين

أولا: التعريف بالرحالة 32

1– مولده ونسبه **32**

2– **أســـــــرته** 33

أ– جده الأميـر شاهيـــن **33**

ب– والده خليل بن شاهيــن **33**

ج– والـــدته: **35**

3– وفـاتـــه **35**

ثانيا: سيرته العلمية 36

1- صفاته ومكانته العلمية..... 36

2- نكساته الصحية وتأثيرها عليه 42

3- شيوخه 45

4- مؤلفاته..... 45

الفصل الثاني : واقع المغرب الأوسط من خلال رحلة عبد الباسط بن خليل

أولا: مسار رحلة عبد الباسط إلى المغرب الأوسط..... 55

1- دخوله مدينة قسنطينة: 55

2- دخوله بجاية ثم مدينة الجزائر:..... 656

3- دخوله مدينة تلمسان: 57

4- دخوله مدينة وهران: 58

5- طريق العودة من وهران إلى تلمسان:..... 59

6- زيارة الصخرة بساحل وهران شهر محرم سنة 870هـ: 60

ثانيا: واقع المغرب الأوسط من خلال رحلة عبد الباسط بن خليل 60

1- الأوضاع السياسية:..... 60

2- الأوضاع الإجتماعية: 72

3- الأوضاع الإقتصادية: 74

3-1. الزراعة:..... 75

3-2. الصناعة: 76

أ- صناعة النسيج: 76

ب- الصناعات الفخارية والخشبية: 77

3-3. التجارة:..... 77

أ-الموانئ التجارية: 79

ب-الخطوط التجارية البحرية بين المغرب الأوسط وأوروبا: 80

4- **الأوضاع الثقافية:**..... 85

خـــاتـمـة..... 89

قائـــمة المصادر والمراجع..... 92

ملخــص الدراســـة :

تهدف هذه الدراسة إلى إعطاء صورة عامة عن أوضاع المغرب الأوسط من خلال رحلة عبد الباسط وما قدمه في مؤلفاته من أخبار وحوادث ووقائع التي تتعلق بالمغرب الأوسط خلال القرن التاسع هجري والتي ميزها نشاط وتفعيل السبل للنهوض بقفزة نوعية مست كل الجوانب .

Summery of the study:

This study aims to give a general picture about the situations of the middle Maghreb through the journey of Abd El Basset and what he gived in his writings which have news, incident and facts related to the middle Maghreb during the ninth century It was characterized by the activity in all the aspects.